
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الجحيم المزدوج
٦٧
Looloo

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ عَبْرَ الجحيم ..

الأحد : الرابع من يونيو .. الحادية عشرة والنصف مساءً ..

انتشر رجال الأمن ، التابعون لجهاز المخابرات الشرقية ، فى أرجاء ذلك الفندق الأنيق ، من فنادق (برلين الشرقية) ، وراحوا يفتشون حجراته فى خشونة وحِدَّة وعنف ، ويستجوبون نزلاءه فى أسلوب فظٍّ مثير ، وقد تحوَّلوا ، من فرط غضبهم وثورتهم ، إلى كائنات أشبه بذئاب مفترسة ، يضنيها الجوع ، تبحث فى وحشية وإصرار عن فريسة ..

وكانت تلك الفريسة تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

كانوا يحملون مدافعهم الآلية فى تحفُّز وتوتُّر ، وأصابعهم تلتصق بأزندها فى هياج ، لا ينتظر سوى بادرة من الشكّ .. فقط بادرة .. ويتحوَّل المكان إلى جحيم حقيقىّ ..

رجل واحد ، فى (برلين الشرقية) كلها ، كان يعلم ــ علم اليقين ــ أين هو (أدهم صبرى) ..

وهذا الرجل يدعى (موشى) .. (موشى حاييم دزرائيل) ..

كان يقينه يأتى من أنه ــ وفى تلك اللحظة بالذات ــ كان يصوّب فوّهة بندقيته إلى رأس (أدهم) ..

كان يرقد على بطنه ، فوق سطح البناية المقابلة للفندق ، وكعب بندقيته ملتصق بكتفه فى قوة ، وعينه تتطلّع عبْر منظار البندقية المقرّب إلى (أدهم) ، وسبّابته تضغط الزّناد فى رفق وخبرة وهدوء ..

وكان هذا الرجل ، الذى يعمل فى صفوف (الموساد) ، يحوز شهرة خاصة ..

شهرة تقول إنه لا يخطئ إصابة هدفه قطّ ..

وقبل أن تعتصر سبّابة (موشى) الزّناد ، وتنطلق تلك الرصاصة ، التى ستستقرّ ــ حتمًا ــ فى رأس (أدهم صبرى) ، راح عقله يسترجع الأحداث ، منذ البداية ..

منذ منتصف ليل الأوّل من يونيو ..

فى ذلك اليوم ، وتلك الساعة ، بدأ كل شىء ..

بدأ (موشى) عمليته الجديدة ، التى تقتضى قتل خمسة من أفضل رجال المخابرات المصرية ، فى خمس عواصم أوروبية مختلفة ..

ولقد نجح (موشى) فى قتل أربعة منهم ..

ثم تصدّى له (أدهم) و (منى) فى المهمة الخامسة ، وأحبطاها ، وهزماه ..

وهنا قرّر (موشى) أن يتصدّى لـ (أدهم) ..

وأن يقتله ..

وبدأ الصراع ..

وأبلغ (موشى) رؤساءه ، بأن (أدهم صبرى) قد ظهر على الساحة ، فخفقت قلوب رؤسائه رعبًا وطلبوا منه التنحّى عن العملية ، والعودة إلى (تل أبيب) ، وكلّفوا رجلهم الجنرال (سمحون) ، تنظيم عملية كبرى ، أطلقوا عليها اسم (تصفية الشيطان) ؛ للقضاء على (أدهم صبرى) ، وإغلاق ملفّه إلى الأبد ..

واستعان الجنرال (سمحون) بعميلة مزدوجة ، تعمل لحساب (الموساد) ، فى صفوف المخابرات السوفيتية ، وهى الشقراء الشرسة ، ذات العينين الزرقاوين اللامعتين ، (مارتينا بوشكين) ، التى نجحت فى اختطاف (منى) من مطار (برلين الغربية) ، ونقلها إلى (برلين الشرقية) ؛ لمحاكمتها بتهمة الجاسوسيّة ..

وهنا تمرّد (موشى) على رؤسائه وقرّر أن أحدًا غيره لن يقتل (أدهم صبرى) ..

وحانت له فرصة مناسبة ، حينما كان (أدهم) يطارد مختطفي (منى) ، قبل عبورهم حدود (برلين الشرقية) ، ولكنه أضاعها ؛ لأنه أراد أن يقتل (أدهم) على نحو استعراضيّ مُبهر ..

واختفى (أدهم) ، وكان من جرّاء هذا الاختفاء أن بدّل (موشى) خططه وأسلوبه ..

لقد قرّر أن يقتل (أدهم) فحسب ، دون استعراضات ، أو أساليب مُبهرة ..

المهم أن يقتله ..

لقد تمرّد على الأوامر ، وصار منبوذًا ، خائنًا ، في صفوف (الموساد) ، والعملية الوحيدة ، التي تمكّنه من العودة ظافرًا ، هي أن يقتل (أدهم صبري) ..

وتبع (موشى) (أدهم) — عَبْر الحدود — إلى (برلين الشرقية) ، حيث التقى (أدهم) بـ(مارتينا بوشكين) في ذلك الفندق ، وخدع رجال الأمن التابعين لها ، وأفقدها الوعي ، ثم شرع يبدّل ثيابه بثياب أحد رجال الأمن(*) ..

(*) راجع الجزء الأوّل (ألف وجه) .. المغامرة رقم (٦٦) ، لمزيد من التفاصيل .

وهنا نعود إلى نقطة البداية ..

نعود إلى حيث يصوّب إليه (موشى) بندقيته ، من سطح البناية المقابلة ، وتكرّر في إصرار ..

أن (موشى دزرائيل) لم يخطئ إصابة هدفه أبدًا ..

* * *

ثانية واحدة ، وتنطلق رصاصة (موشى) ..

ثانية واحدة ، ويلقى (أدهم صبري) حتفه برصاصة غادرة ..

ولكن مهلًا ..

ثانية واحدة ، قد تنقلب فيها كل الدنيا ، رأسًا على عقب ..

لقد كانت سبّابة (موشى) تضغط الزّناد في رفق ، ورأى (أدهم) أمام عينيه هدفًا واضحًا ..

ولكن فجأة .. اختفى الهدف ..

حجبه جسد آخر ..

جسد (مارتينا بوشكين) ، التي استعادت وعيها ، وانقضّت على (أدهم) في غضب ، فقفزت متعلّقة بعنقه من الخلف ، وهي تصرخ في هياج :

— النجدة يا رجال !! لقد أمسكت بالجاسوس .. النجدة !!

رفع (موشى) عينه عن عدسة منظار بندقيته المقرّب فى دهشة ، وهتف فى حَنَق :

— اللعنة !!

ثم عاد يحاول تصويب بندقيته فى عِناد وغضب ، ولكن المشهد أمامه كان متوترًا ، عنيفًا ، فقد تحرّك (أدهم) فى سرعة ، فأدار ذراعه خلف ظهره ، وقبض على شعر (مارتينا) الذهبيّ الطويل ، ونزع ذراعيها من حول عنقه فى قوة وسُرعة ، ثم انحنى إلى الأمام ، وألقاها فى الهواء ، وهو يقول فى سخرية :

— مهلًا أيتها الأفعى ، إن الجاسوس شديد العِناد هذه المرّة .

وفى قفزة بارعة ، مرنة ، مدهشة ، ارتفع جسد (أدهم) فى الهواء ، وقفزت قدمه ؛ لتركل مصباح الحجرة ، وتهشّمه ، فيسود الظلام داخلها ، فى نفس اللحظة التى استعادت فيها (مارتينا) توازنها ، وعادت تنقضّ عليه ، وهى تصرخ :

— النجدة يا رجالُ !!

هبط (أدهم) على قدمَيْه ، ولطمها لطمة قويّة ، ألقتها مرّة أخرى فوق الفراش ، وهو يهتف فى حزم :

— كفَى أيتها الأفعى ، لقد بدأ صياحك يُزعِجنى .

تعالَى فى تلك اللحظة صوت أقدام الجنود ، وهم يُهْرَعون إلى الحجرة من كل صَوْب ، إثر نداء قائدتهم ، على حين شعر (موشى) ، وهو يرقد على سطح المبنى المقابل ، بغضب هائل ، بعد أن حجب ظلام الحجرة (أدهم) عن مرماه ، وحاول عبثًا أن يميّز جسد خصمه ، ثم هتف مُحْنقًا :

— لقد أفلت ذلك الشيطان مرّة أخرى .

أما (أدهم) ، فقد انحنى فى سرعة ، ملتقطًا مِدفَعَى الجنديّين ، اللذَيْن أفقدهما الوعْىَ من قبل ، ثم اندفع إلى خارج الحجرة ، ورأى جنود (مارتينا) يندفعون نحوه ، عَبْرَ ممّر الفندق الطويل ..

وكان وحده ، فى مواجهة عشرات الرجال ..

فى مواجهة الجحيم نفسه ..

* * *

نبض قلب (منى) فى عنف وألم ، وهى تكتم فى أعماقها صرخة هائلة ، مع ذلك الألم الفظيع ، الذى تشعر به ، حينا

غرست حارسة السجن المركزى البدينة إبرة ساخنة ، تحت ظفر إبهامها ، وهى تقول فى خشونة شامتة :

— هل يَرُوق لك ذلك أيتها المصريّة الحسناء ؟.. هيّا .. اكتمى صرخاتك ، ولكنك ستجثين على رُكبتَيك طالبة العفو ، وستوقعين على اعتراف كامل بخيانتك ، بعد أن أزيّن أصابع كفّيك وقدمَيك بإبرى الساخنة .

سالت دموع الألم والمرارة من عينى (منى) ، وهى تقول فى صوت مُختنق :

— أيّتها المتوحّشة .. أقسم أن أقتلك ، لو قُدّر لى الخروج من هنا .

أطلقت الحارسة ضحكة ساخرة وحشيّة مقيتة ، ووضعت إبرة طويلة أخرى فوق الموقد المشتعل ، وهى تقول فى سخرية :

— الخروج من هنا ؟!.. هناك طريق واحد للخروج من هنا أيتها الجاسوسة .. طريق يذهب إلى الجحيم مباشرةً .. طريق بلا عوْدة .

اختلطت ضحكتها الساخرة هذه المرّة بصرخة ألم هائلة ، عجزت (منى) عن كتمانها ، حينما غرست تلك المتوحّشة إبرتها الساخنة الثانية تحت ظُفر سبّابة (منى) ، التى لهثت من الألم ، وهتفت فى مرارة ويأس ، من خلال دموعها الغزيرة :

— أين أنت يا (أدهم) ؟.. أين أنت ؟.

* * *

اندفع رجال (ماريتا) ، عَبْرَ رواق الفندق ، نحو ذلك الرجل ، الذى يرتدى زيًّا مماثلًا لهم ، ويقفز عَبْرَ الحجرة المفتوحة ، وقبل أن يتخذ أحدهم قرارًا بشأنه ، استدار هو بدوْرِه مواجهًا باب الحجرة ، وراح يطلق عليه رصاصات مِدفعيْه الآليّين ، وهو يصرخ بالألمانية :

— أسرعوا يا رفاق .. الجاسوس هنا .. لقد وصلتم فى الوقت المناسب .. إنه يحاول قتل الرفيق (ماريتا) .

حسمت صرخته قرارهم ، فانضمُّوا إليه جميعًا ، يمطرون الحجرة برصاصاتهم ، وقد تصوّروا من زِيّه ، ولغته السليمة ، أنه أحدهم ، وليس ذلك الذى يبحثون عنه ، وتراجع هو بابتسامة ساخرة ، حتى تعالَى صوت (ماريتا) من داخل الحجرة ، تصرخ فى ثورة :

— أيها الأغبياء .. إنه ليس هنا .. لقد خدعكم .. خدعكم جميعًا .

نبّهتهم صرختها إلى خدعته ، فاستداروا إليه فى سرعة ، ولكن رصاصات مِدفَعَيْه استقبلتهم فى ترحاب ، فأطارت

أسلحتهم ، واخترقت أذرعتهم وسيقانهم ، ولكنها ــ وهذا ما أدهشهم ــ لم تصب من أحدهم مقتلًا ، على الرغم من ثقتهم فى قدرة ذلك الشيطان الذى يواجههم ، على إرسالهم جميعًا إلى الجحيم ..

ولكن من حسن حظهم أنَّ (أدهم صبرى) يبغض القتل ..

يبغضه ، ما لم تحتِّمه الضرورة ..

وسقط عشرات الجنود ، وهم يتطلعون فى مزيج من الرُّعب والذُّهول إلى (أدهم) ، الذى انطلق يَعْدو عَبْرَ الممرّ الطويل ، ويقفز سُلَّم الفندق هابطًا ، موجِّهًا ضرباته ، وركلاته لكل من يعترض سبيله ، ومطلقًا ، رصاصات مِدفعِه ، بين حين وآخر ، على مدفع آلىّ ، أو ذراع أو ساق ..

وعَبَر (رجل المستحيل) الجحيم ..

عَبَره فى بسالة أذهلت الجميع ، وألقت فى قلوبهم الرُّعب ، حتى بلغ باب الفندق الخارجىّ ، فقفز داخل واحدة من سيارات الأمن ، وأطلق مُحرِّكها العِنان ..

وانطلقت السيارة تشقُّ طريقها ، عَبْرَ شوارع (برلين الشرقية) ، وصرخ أحد ضباط فرقة الأمن فى مرارة وثورة :

ــ الحقوا به .. أريد جثته ، مهما كان الثمن .

وانطلقت ثلاث سيارات خلف سيارة (أدهم) ، الذى انحرف بسيارته فى طريق جانبىّ ، وهو يغمغم ساخرًا :

ــ هيَّا أيُّها الأوغاد .. فلنختبر مهاراتكم .

ودون أن يُوقِفَ سيارته ، قفز منها فى رشاقة ، وتركها تواصل طريقها ، على حين انطلق هو فى سرعة ، ليختفى داخل أحد الأبنية ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها السيارات الثلاث خلف سيارته ، وراح رجالها يطلقون على السيارة نيرانهم ، فانحرفت ، بعد أن فقدت قائدها ، وارتطمت بجدار مبنى مقابل ، وتوقفت ..

وفى اللحظة التى قفز فيها الجنود من السيارات الثلاث ، واندفعوا نحو سيارة (أدهم) ، كان هو قد بلغ سطح البِناية ، التى اختفى داخلها ، وانطلق يعْدو فوقه ، حتى بلغ نهايته ، ثم قفز ..

قفز لمسافة تقارب الأمتار الأربعة عرضًا ؛ ليهبط فوق سطح المبنى المجاور ، وواصل عَدْوَه ، وانتقاله من مبنى إلى آخر ، وهو يغمغم فى سخرية :

ثم قفز لمسافة تقارب الأمتار الأربعة فوق سطح المبنى المجاور .

— هيَّا .. أمطروا السيارة برصاصاتكم ، وأحيطوا بها ، وحاصروا المنطقة كلها .. ولكنكم خسرتم هذه الجَوْلة .. لقد عَبَرَ صيدكم أسوار الجحيم .

وانعقد حاجباه ، وتلاشت ابتسامته الساخرة ، وهو يُرْدِف فى غضب :

— ولكنه سيذيقكم جحيمًا آخر .. جحيم غضبة مصرى ثائر .

* * *



٢ ــ الغضب ..

هتف (دافيد) فى مرارة ، وهو يلوّح بذراعيه ساخطًا ، أمام الجنرال (سمحون) :

ــ لقد نجح ذلك الشيطان المصرىّ فى الفرار أيها الجنرال .. لقد أفسدت تلك الغبية ، (مارتينا) ، خطتنا كلها بعنادها .

ابتسم (سمحون) فى تراخ ، وهو يقول فى هدوء :

ــ اطمئنّ يا عزيزى (دافيد) .. إننا لم نخسر اللّعبة بعد .

هتف (دافيد) فى دهشة :

ــ كيف ؟!.. لقد فقدنا أثر (أدهم صبرى) ، وتهاوى ذلك الحصار ، الذى أحكمناه حوله !!

هزّ (سمحون) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يغمغم فى تكاسل :

ــ ليس بعد يا (دافيد) .. ليس بعد .

اتسعت عينا (دافيد) فى دهشة وحيْرة ، على حين استطرد (سمحون) فى هدوء :

ــ هل تعلم لماذا طلبت من (مارتينا) أن تتهم زميله (منى)

بالجاسوسية ؟.. لأن هذا سيثير مزيدًا من غضبه ، وسيدفعه إلى بذل كل المحاولات الممكنة ؛ لإنقاذ زميلته .

واتسعت ابتسامته ، وهو يُرْدِف فى زهو :

ــ وسيعيده هذا إلى رُقعة الشطرنج يا عزيزى (دافيد) ، وستكون الرُّقعة هذه المرّة هى السجن المركزىّ ، حيث يحتفظون بزميلته .

سأله (دافيد) فى دهشة :

ــ هل تظن أنه سيخاطر بالذهاب إلى هنا ؟

أومأ (سمحون) برأسه إيجابًا ، وغمغم فى هدوء :

ــ بالتأكيد .. مع (أدهم صبرى) يمكنك أن تتوقّع أكثر الأمور والمواقف تهوُّرًا وجُرأة .

وتلاشى هدوءه ، مع نبرة المَقْت التى شابَتْ صوته ، وهو يُرْدِف :

ــ إنه شيطان !! شيطان حقيقى !!

* * *

أطلّت نظرة باردة صارمة ، من عينى الجنرال (بافلوف) ، وهو يقول لـ (مارتينا) فى حزم :

ــ نجح فى الفـــرار ؟!.. كيـــف أيتها الرفيـــق الملازم

(مارتينا) ؟.. كيف ينجح رجل واحد فى الفرار من كتيبة كاملة من رجالنا ، ومن مكان أحكمنا الحصار حوله ؟

عقدت (مارتينا) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ إنه ليس رجلًا عاديًا .

قال الجنرال فى صرامة :

ـ من المفروض أنك لست فتاة عاديّة أيضًا .. أليس كذلك أيتها الرفيق الملازم ؟

احتقن وجهها ، وهى تغمغم فى عصبيّة :

ـ إننا لم نفقد أثر ذلك الشيطان تمامًا أيها الرفيق الجنرال .

أجابها فى لهجة باردة ، تحمل قبسًا من السخرية :

ـ هكذا ؟!.. كيف ؟

هتفت فى حِدّة :

ـ لقد سجلنا محادثة هاتفية ، أجراها مع (القاهرة) ، وتحدث خلالها مع رجل يُدعى (قدرى) ، وحدّد له موعدًا لمقابلته فى الخامسة من مساء غد ، أمام مقرّ الحزب .

بدا الاهتمام على وجه الجنرال (بافلوف) ، وهو يقول :

ـ فى الخامسة ؟!.. عظيم .

ارتجف صوتها بالحماس ، وهى تقول :

ـ سنلقى القبض عليه هناك ، فى ذلك الموعد بالضبط .

أجابها فى صرامة :

ـ كلّا .. لا تلقى القبض عليه .

حدّقت فى وجهه بدهشة ، فأسرع يُرْدِف فى صرامة غاضبة :

ـ مُرى الجميع بقتله ، فور رؤيته .. هذه هى الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الجواسيس .

تألّقت عيناها ، وافترّ ثغرها عن ابتسامة شرسة ، وهى تقول :

ـ نعم أيها الرفيق الجنرال .. سنقتله .. سنقتل ذلك الشيطان (أدهم صبرى) .

* * *

لم يكد (أدهم) يجد نفسه بعيدًا عن منطقة الفندق ، التى حاصرها رجال الأمن ، وأشبعوها بحثًا وتنقيبًا عنه ، حتى أسرع يُلقى المدفعيْن الآليّيْن ، ويخلع زِىّ رجال الأمن ، ثم عدّل من ثيابه ، وهبط من سطح البناية ، التى انتهى إليها فراره ، وسار وسط الطريق فى هدوء ..

كان يحتفظ بشعره المصبوغ باللون الأشقر ، ولكنه فقد

ذلك القناع ، الذى صنعه فى (برلين الشرقية) ، أى أنه كان يسير فى الطرقات بملامحه الحقيقية ..

ولكن ذلك لم يقلقه ..

كان كل القلق ، الذى يحمله فى أعماقه ، موجهًا نحو (منى) ..

كان يتساءل عن مصيرها ، بعد أن أنبأته (مارتينا) أنها سجينة فى السجن المركزى ، بتهمة التجسُّس .. فقد كان يعلم وسائل الشرقيين ، فى انتزاع المعلومات والاعترافات ، من أسراهم ، وكان هذا يثير فى جسده قُشَعْريرة قلق واشمئزاز ..

وغمغم فى غضب هادر :

— لو أن هؤلاء الأوغاد مَسُّوا شعرة واحدة من (منى) ، فأقسم أن أقتلهم جميعًا شرّ قتلة .

ثم أطبق شفتيه فى غضب ، وهو يفكِّر فيما آل إليه الموقف ..

إنه وحيد ، بلا سلاح ، وبلا عَوْن ، فى مدينة تموج برجال الشرطة والأمن ، وكل واحد منهم يسعى خلفه ، ويجاهد لاقتناصه ..

إنه أشبه بثعلب وحيد ، أطلق الصيادون خلفه كل كلاب الصيد ..

ولكن هذا لم يثبط من عزيمته ..

إنه يعلم الآن أين (منى) ، وبقى أن يعلم كيف يصل إليها ..

وسيقاتل بكل ما يملك من قوة ، حتى يفعل ..

حتى ينقذها من سجنها ، ومن ذلك البلد الكئيب ، الذى استقبله بالعُدوان والنيران ..

وبينما كان مستغرقًا فى أفكاره ، انطلق من خلفه صوت صارم يقول :

— قِف ، واستدر فى بطء .

توقَّف (أدهم) فى هدوء ، واستدار يواجه صاحب الصوت فى بطء ، فطالعه ثلاثة من رجال الأمن ، يتقدَّمهم ضابط برتبة ملازم ، والجميع يصوِّبون فوَّهات مدافعهم الآلية إليه ، ورأى الضابط يتقدَّم نحوه ، قائلاً فى صرامة :

— أوراقك .

أجابه (أدهم) بالألمانية ، فى هدوء شديد :

— ماذا هناك أيها الملازم ؟.. إننى مواطن شريف ، وعضو بالحزب الشيوعى و .....

قاطعه الضابط فى صرامة :

— أبرز أوراقك بسرعة .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— حسنًا .. ها هي ذى .

وفى حركة سريعة ، بل أسرع من البرق ذاته ، أمسك ماسورة مدفع الضابط ، وجذبه إليه ، ثم أحاط عنق هذا الأخير بذراعه الفولاذية ، وهو يقول فى صرامة :

— مُرْ رجالك بإلقاء أسلحتهم ، أو تفقد عنقك أيها الملازم .

سَرى التوتُّر فى أجساد رجال الأمن الثلاثة ، واتخذوا وضعًا قتاليًا ، وهم يصوِّبون أسلحتهم نحو (أدهم) فى تحفُّز وعصبيَّة ، على حين صاح الملازم فى غضب :

— مُحال أيها الجاسوس .. مُحال .

ثم صرخ فى لهجة صارمة آمرة :

— أطلقوا النار أيها الرفاق ..

وارتجَّت المنطقة كلها بدوىّ الرصاصات ..

* * *

٣ — ليل طويل ..

خطت (مارتينا) داخل قبو السجن المركزى ، بقامة منتصبة ، وحاجبين ملتقيين فى غضب وصرامة ، واستقبلتها الحارسة الوحشية البدينة فى ترحاب ، فسألتها (مارتينا) فى برود :

— هل حصلت على الاعتراف ؟

امتقع وجه الحارسة ، وهى تغمغم :

— ليس بعد أيتها الرفيق الملازم .

سألتها (مارتينا) فى غضب :

— لماذا ؟

ارتجفت الحارسة ، وهى تقول :

— لقد فقدت المصرية وعيها أيتها الرفيق الملازم .. لم تحتمل سوى أربع إبر ، ثم سقطت فاقدة الوعى .

صرخت (مارتينا) فى غضب :

— كان عليك إحضار طبيب السجن ؛ لإفاقتها .. إننى لن أصبر عليها طويلاً ، أريد هذا الاعتراف قبل مساء الغد .

هتفت الحارسة ، وهي ترتجف :

— بالتأكيد أيتها الرفيق الملازم .. ستحصلين عليه بالتأكيد ، ولكن .....

صرخت في وجهها :

— ولكن ماذا ؟

تراجعت الحارسة في خوف ، وهي تقول :

— ولكن الطبيب ليس هنا .. إنه سيعود صباح الغد .

زفرت (مارتينا) في غضب ، وهي تقول في عصبيَّة :

— يا لهذا اللعين !.. أيظن أنه في مجتمع رأسماليّ ، حتى يتجاهل الأوامر ، ويعود إلى منزله هكذا ؟

غمغمت الحارسة في اضطراب :

— إنه لم يتجاهل الأوامر أيتها الرفيق الملازم .. لقد حصل على إجازة .

صاحت في وجهها بغضب :

— ومن منحه هذه الإجازة ؟

غمغمت الحارسة في توتُّر :

— الجنرال (بافلوف) .

احتقن وجه (مارتينا) ، وغمغمت :

— حسنًا .. ما دام الجنرال (بافلوف) قد منحه الإجازة .

ثم أردفت في غضب :

— ولكنه سيفرُغ ؛ لإفاقة تلك المصرية اللعينة ، فور عودته في الصباح .. ولو أنها أفاقت قبل ذلك ، فعليك مواصلة تعذيبها على الفور .. أريد هذا الاعتراف قبل مساء الغد ، مهما كان الثمن ، حتى ولو اضطر الأمر إلى بتر أطرافها ، واحدًا بعد الآخر .. هل تفهمين ؟

ارتجفت الحارسة ، وهي تغمغم :

— نعم .. نعم .. سأفعل بالتأكيد .

وارتجف جسد (منى) ، التي تتظاهر بفقدان الوعي ، حينما بلغت تلك العبارة الوحشية مسامعها ، وأيقنت أنه من الضروريّ أن تواصل تظاهرها بفقدان الوعي ، فلم يعُد جسدها يحتمل وسيلة جديدة من تلك الوسائل الشيطانية في التعذيب ..

عليها أن تحتمل الليل كله .. ويا له من ليل طويل !!

* * *

أدرك (أدهم)، فور سماعه لصيحة الضابط ، أنه لابدّ من اندلاع الجحيم مرّة أخرى ، فتحرّك في سرعة ، ودفع الضابط

بعيدًا ، ثم أطلق نيران المدفع الرشاش نحو الجنود الثلاثة ، الذين أصابهم رُعب هائل ، حينما أصابت الرصاصات مدافعهم ، وألقت بها بعيدًا ، دون أن تمسّ أحدهم بخدش واحد ..

واتسعت عينا الضابط فى ذُهول ، وهو يهتف :

— كيف ؟.. كيف فعلت هذا ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— عجبًا !!.. أتعجِز عن فعل ذلك ؟

عقد الضابط حاجبيه ، وهو يقول فى جِدّة :

— إننى لم أحاول من قبل .. إننا نطلق النار على الرءُوس مباشرةً .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت أبواق سيارات الشرطة ، التى جذبها دوِىّ الرصاصات ، فتألقت عينا الضابط ، وهو يقول فى حزم :

— ماذا ستفعل الآن أيها الجاسوس ؟.. سيحيط رجالنا بك بعد لحظات .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

— لست أظن أنّ ما سأفعله سيرُوق لك أيها الألمانى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى برزت سيارتا شرطة على بعد أمتار قليلة ، وصرخ الضابط فى شماتة :

— لقد انتهى الأمر أيها الجاسوس .. لقد انتهيت .

* * *

ملأ الغضب أعماق (مارتينا) ، وهى تعود إلى منزلها فى الثانية صباحًا ، وبلغت عصبيتُها حدًا جعلها تعجز لمرتين متتاليتين — عن دسّ مفتاحها فى ثقب باب شقتها ، ثم لم تلبث أن نجحت فى محاولتها الثالثة ، وهى تهتف فى غضب :

— ماذا أصابك أيها المفتاح اللّعين ؟

دفعت باب شقتها فى عصبيّة ، ودلفت إليها ، ثم أغلقت الباب خلفها فى عنف ، ومدّت يدها لتوقد الأضواء ..

وفجأة .. أمسكت قبضة قوية بمعصمها ، فانتفض جسدها فى قوّة ، وهمّت بالصراخ ، لولا أن كتمت يد قوية فمها ، وارتفع صوت بارد صارم يقول :

— مهلًا يا (مارتينا) .. إنه أنا .

تهلّلت أساريرها ، حينما أضاء صاحب الصوت الأضواء ، ورفع كفّيه عن فمها ومعصمها ، وهتفت فى سعادة ، وهى تتعلّق بعنقه :



فانتفض جسدها فى قوة، وهمَّت بالصراخ، لولا أن كممت يد قوية فمها .

ـــ (موشى) !!.. أهو أنت ؟.. كيف حالك أيها العزيز ؟

أبعد ذراعيها عن عنقه فى برود ، وهو يقول :

ـــ نعم يا (مارتينا) .. هو أنا .

هتفت فى لهجة تشفُّ عن سعادتها لرؤيته :

ـــ يا للشيطان !.. إننا لم نلتق منذ عملية (هونج كونج).. هل تذكرها ؟.

أجاب فى برود :

ـــ بالطبع .

أطلقت ضحكة ناعمة ، وهى تقول فى دلال :

ـــ بكل تفاصيلها ؟!

أدهشتها تلك النظرة الصارمة ، التى أطلَّت من عينيه ، فسألته فى حَيْرة :

ـــ ماذا بك ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ أين (أدهم صبرى) ؟

اختفت الحَيْرَة من ملامحها ، وعقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

— وما شأنك به ؟.. ألم تتلق الأوامر بالتخلى عن تلك المهمة ، والعودة فورًا إلى (تل أبيب) .

جذبها من شعرها الطويل فجأة ، فى قسوة جعلتها تشهق ألمًا ودهشة ، وهو يقول :

— أين هو ؟

صاحت فى غضب :

— لست أدرى .. لقد هرب .

لوى ذراعها خلف ظهرها فى خشونة ، وتجاهل تأوهات الألم ، التى انطلقت من بين شفتيها ، وهو يسألها فى صرامة :

— هل نسيت أننى أفهمك جيدًا يا (مارتينا بوشكين) ؟.. لو أنك فقدت أثر (أدهم صبرى) تمامًا ، ما عدت إلى منزلك أبدًا .. إنك تعلمين أين هو ، أو أين يمكن أن يظهر على الأقل ، وستخبريننى بكل ما لديك ، وإلا حطمت ذراعك ، وشوهت وجهك الجميل .

صاحت فى غضب ، وهى تتأوه ألمًا :

— أيها الوغد الحقير ، هل نسيت أننا كنا سنتزوج يومًا ؟

ضغط ذراعها فى عنف ، وجذب شعرها فى قوة ، كادت تنتزعه من رأسها ، وهو يقول فى حدة :

— أين (أدهم صبرى) ؟

صرخت فى ألم ، ثم هتفت فى حنق :

— كفى أيها الحقير .. إن ذلك الشيطان المصرى سيلتقى بزميل له غدًا ، أمام مقر الحزب ، فى تمام الخامسة مساءً ، ونحن نحتفظ بزميله فى السجن المركزى .

عاد يسألها فى صرامة :

— ما اسم ذلك الزميل ؟

هتفت فى ألم :

— (قدرى) .. اسمه (قدرى محمود) .

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

— (قدرى) .. خبير التزوير البدين .. هذا طريف .

صاحت به (مارتينا) فى غضب :

— اترك ذراعى أيها الوغد .. إنك ستهشمه .

أجابها فى برود :

— بكل سرور يا عزيزتى (مارتينا) .

ثم هوى على مؤخرة عنقها بلكمة قوية ، فشهقت فى ألم ، وسقطت فاقدة الوعى ، على حين مط هو شفتيه فى برود ، وغمغم :

— معذرة يا (مارتينا) ، ولكن أحدًا غيرى لن يقتل (أدهم صبرى) .. إنه لى .. لى وحدى .

* * *

اندفعت سيارتا الشرطة نحو (أدهم) ، بحمولتها البالغة عشرة جنود ، وضابطَيْن ، وانطلقت رصاصات مدفع (أدهم) الرشاش فى وجوههم بلا هوادة ، فأصابت محرّكي السيارتين ، واخترقت أذرع وسيقان خمسة من الجنود ، والضابطين ، على حين أمطر الخمسة الباقون (أدهم) برصاصاتهم، فانطلق يركض كالصاروخ، فى مسار منحنٍ ، متفاديًا الرصاصات فى مهارة مدهشة ، ثم انحنى فى منعطف قريب ، وهم يطاردونه فى شراسة ، وهتف بهم الضابط الأوّل :

— اقتلوه فور رؤيته .. فهو شيطان مريد .

انحنى الجميع خلف (أدهم) ، فى المنعطف ذاته ، ثم توقّفوا فى دهشة وحَيْرة ؛ فقد كان المكان خاليًا تمامًا ، إلّا أن الضابط قال فى عصبيّة :

— إنه يختبئ فى مدخل إحدى البنايات بالتأكيد .. اعملوا على تفتيشها جميعًا ، وبسرعة ..

ولكن (أدهم) كان فى تلك اللحظة يواصل الفرار ، على نفس النحو السابق ..

من سطح إلى آخر ..

وبدت له تلك الليلة أطول ليالى عمره ..

كان ليلًا طويلًا ، يبدو كما لو كان بلا نهاية ..

ليلًا يطلّ الخطر من كل لحظة من لحظاته ..

ولكنه لن يهدأ ، ولن يتوقّف ، حتى يستعيد (منى) ، أو يهلك معها ..

توقّف لحظة ، حينما بلغ نهاية السطح الثالث ؛ فقد كانت المسافة التى تفصله عن السطح المقابل كبيرة ، تبلغ ستة أمتار على الأقل ..

وتساءل (أدهم) ، هل سيمكنه القفز عَبْرَ الفراغ ، الذى يفصل بين السطحين ؟..

ولم يكن هناك مجال للتراجع أو التفكير ..

كان عليه أن يبتعد ، أو يواصل القتال ..

وتراجع (أدهم) أربعة أمتار إلى الخلف ، ثم انطلق كالصاروخ ..

وقفز ..

قفز عبْر الأمتار الستة ..

ولكنه لم يبلغ السطح المقابل ..

لقد بدأ جسده هبوطه ، بفعل الجاذبية الأرضية ، قبل أن يصل إليه بمتر كامل ..

وهوَى (أدهم) ..

هوَى من ارتفاع خمسة طوابق ..

* * *



٤ ــ حتى الفجر ..

تألقت عينا الجنرال (سمحون) ، وهو يشعل سيجاره الفخم ، وينفث دُخانه فى الهواء ببطء ، قبل أن يقول لـ(دافيد) بلهجته الخاملة ، التى توحى بأن شيئًا لا يثير اهتمامه على الإطلاق :

ــ إذن فقد ذهب (موشى) إلى (مارتينا) !.. متى أبلغتك ذلك ؟

أجابه (دافيد) فى توتُّر :

ــ الآن .. ولقد أخبرته أنها قد سجّلت محادثة هاتفية ، بين (أدهم صبرى) و (قدرى) ، خبير التزوير فى إدارة المخابرات العامة المصرية ، اتفقا خلالها على اللقاء فى الخامسة مساء الغد ، أمام مقر الحزب ، فى (برلين الشرقية) .

أغلق (سمحون) عينيه فى تكاسل ، وهو يغمغم :

ــ وماذا ستفعل (مارتينا) ؟

هتف (دافيد) :

— سنحاصر المنطقة كلها بالطبع ، وسنلقى القبض على (أدهم) و (قدرى) معًا ، فى الموعد المحدود للقائهما .

نفث (سمحون) دخان سيجاره فى بطء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خاملة ، وهو يغمغم فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— هكذا ؟.. يا لها من خرقاء !!

سأله (دافيد) فى اهتمام :

— هل تعنى أن (مارتينا) لن يمكنها إلقاء القبض عليهما ؟!

أجابه (سمحون) فى بطء :

— بل أعنى أن (مارتينا) ستنتظر طويلاً ، فلن يذهب ذلك الشيطان المصرى فى الموعد أبدًا .

هتف (دافيد) فى دهشة :

— كيف ؟

اتسعت ابتسامة (سمحون) ، وهو يقول فى هدوء :

— لأنه ليس غبيًا ، مثلك ومثل (مارتينا) ، يا عزيزى (دافيد) .. إنه محترف .. محترف يدرك جيدًا قواعد اللُّعبة ، ويُجيدها .

غمغم (دافيد) فى حيرة :

— أيّة لعبة ؟

تثاءب (سمحون) فى ضجر ، قبل أن يجيب فى هدوء :

— الشطرنج يا عزيزى (دافيد) .. لُعبة الموت ..

* * *

لم يبلغ (أدهم صبرى) بداية السطح المقابل ..

لم تبلغ قفزته — هذه المرّة — القوة المناسبة ، لعبور ستة أمتار فى الهواء ..

فهوَى ..

هَوَى من ارتفاع خمسة طوابق ، ولكنه لم يفقد أعصابه لحظة واحدة ، على الرغم من كل ما بذله من جهد ، وكل ما يشعر به من تعب وإرهاق عنيفين ..

وفى جزء من الثانية ، راح (أدهم) يدرس الموقف ، وفى الجزء التالى لمحت عيناه قائمًا من الصلب ، يبرز من شرفة أحد منازل المبنى ، وفى الجزء الثالث ، وقبل أن تكتمل الثانية ، كان قد أعدَّ خطَّة النجاة ، وعمل على تنفيذها على الفور ..

نفس ما يفعله ، حينما يقفز من طائرة ، بمظلة هبوط ، وقبل أن يفتح المظلة ..

إنه فى تلك اللحظات ، التى تسبق فتح مظلة الهبوط ،

يعتمد على تغيير وضع جسده ، والجزء المعرّض منه لمقاومة الهواء ؛ ليتحكّم في اتجاهاته ..

وهذا ما فعله ، ولكن بدون مظلة ..

لقد أمال جسده ، وتلقّى كل دفع الهواء في قدميه وجانبه الأيسر ، ممّا جعل جسده يميل يمينًا ، ورأسه ينخفض عن مستوى قدميه ، ثم تشبّث بالقائم الصلب ، وشعر بآلام مبرّحة في ذراعيه ، وبعضلاته تكاد تتمزّق ، حينما أوقف القائم هبوطه بغتة ..

ومضت لحظة ، وجسد (أدهم) معلّق من ذراعيه بالقائم الصلب ، ثم استدعى هو كل إرادته ، وإصراره ، وما بقي من قوته ، ليرفع جسده إلى أعلى ، ويجلس فوق إفريز الطابق الثالث من المبنى ، وراح يلهث في عنف ، بعد أن فاق المجهود الذي بذله ، كل قدرات أي بشريّ عاديّ ..

حقًا .. لقد حطّم حاجز المستحيل مرّة أخرى ..

واستغرق هذا دقيقتين .. دقيقتين فقط ، نهض بعدهما في مرونة ، واستقرّ بقدميه فوق إفريز الشُرفة الخارجيّ ، ثم قفز داخلها في هدوء ، وأخرج من جيبه مُدْيَة صغيرة ، راح يعالج بها رتاج الشُرفة في سرعة ومهارة وصمت ، حتى استسلم له

الرّتاج ، وانفتح مصراعا باب الشُرفة ، فتوقّف (أدهم) في حذَر ، وتطلّع إلى الحجرة الخالية ، التي قادته إليها الشرفة ، ثم دلف إليها ، وغادرها إلى بهو المنزل ، وإلى حجراته ، ثم لم يلبث أن توقّف وسط البهو ، هاتفًا في دهشة :

ـــ يا إلٰهي !!.. إنها شقة خالية .

كانت مفاجأة مدهشة حقًا ، أن تقوده قدماه إلى شقة خالية من أصحابها ، وقد كان يتوقّع قتالًا معهم ؛ لإجبارهم على استضافته ، حتى مطلع الصباح ، فألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وأغلق عينيه ، وغمغم في ارتياح :

ـــ هنيئًا يا (منى) .. إننا سننجو بالتأكيد ، ما دام الله (سبحانه وتعالى) يؤازرنا إلى هذا الحدّ .. شكرًا لك يا إلٰهي .. شكرًا لك .

استرخى في مقعده ، وتنهّد في ارتياح ، وهو يغلق عينيه مستطردًا :

ـــ هذا يذكّرني بأنني لم أؤدّ صلاة العشاء بعد .

كان جسده يشعر بإجهاد لا مثيل له ، وبرغبة جارفة في الاسترخاء والنوم ، إلّا أنه انتزع نفسه من كل هذا انتزاعًا ، واتجه نحو حمام المنزل ، ليغتسل ويتوضّأ ، ويؤدّي الصلاة في خشوع تام ..

ولم يكد ينتهى من أداء صلاته ، حتى سرى الارتياح فى كل خليّة من خلاياه ، وعاد إليه هدوء نفسه ، فتنهّد وهو يقول :

ــ والآن إلى العمل .

وفى نشاط وهمّة ، راح يقلّب محتويات المنزل البسيط ، حتى عثر على مايلزمه ، وبدأ عمله ..

بدأ عملًا استغرق منه ساعات طوالًا ، حتى مطلع الفجر .. ولكنه لم يكد ينتهى منه ، حتى ابتسم فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى وجهه فى المرآة ، ويغمغم :

ــ الآن إلى الجولة الجديدة ..

وكان هذه المرّة يحمل وجهًا جديدًا ، وقلبًا مُفعَمًــا بالحماس ، واستعدادًا لجولة جديدة ..

جولة مع الموت ..

* * *

استيقظ طبيب السجن المركزىّ فزعًا ، على صوت طرقات عنيفة على باب شقته ، وشهقت زوجتهُ فى رُعْب ، وهى تقول :

ــ ماذا هناك يا (فولف) ؟.. ماذا هناك ؟

أجابها فى توتُّر ، وهو يُهْرَع إلى باب الشقة :

ــ لست أدرى يا (هيلجا) .. لست أدرى .

لم يكد يفتح باب شقته ، حتى تراجع فى دهشة وخَوف ، وارتجف صوته ، وهو يتطلّع إلى زوج من العيون الزرقاء اللامعة ، مغمغمًا :

ــ الرفيق (مارتينا) ؟!.. مرحبًا .. مرحبًا بك فى منزلى المتواضع .

أزاحته (مارتينا) عن طريقها فى صرامة ، ودلفت إلى منزله ، وألقت نظرة لامبالية على زوجته ، التى تولّاها الفَزَع ، ثم قالت له فى حزم :

ــ هيّا يا دكتور (فولف) ، هناك عمل ينتظرك فى قبو السجن .

أجابها الطبيب فى اضطراب :

ــ ولكننا فى الفجر أيّها الرفيق الملازم ، ولم يحن موعد العمل بعد ، و .....

أوقفته نظراتها الشرسة الصارمة ، فأردف فى خفوت متوتّر :

ــ لاريب أنه عمل عاجل .. أليس كذلك ؟

أجابته (مارتينا) فى صرامة :

— لقد فقدت الجاسوسة المصرية وعيها ، وأريد منك أن تجعلها تفيق ؛ حتى نواصل استجوابها .

سرت في جسده قشعريرة ، وهو يتخيل ما ينتظر (منى) ، حينما يعيدها إلى وعيها ، إلا أنه لم يملك سوى أن يجيب في استسلام :

— كما تأمرين أيتها الرفيق الملازم .. كما تأمرين .. فقط سأرتدي ثيابي ، ثم ألحق بك هناك ، و.....

قاطعته في صرامة :

— سنذهب معًا .

اضطرب صوته ، وهو يغمغم :

— بالتأكيد أيتها الرفيق الملازم .. بالتأكيد .

أدارت عينيها إلى زوجته ، وهي تقول في حزم :

— عودي إلى الفراش يا (هيلجا) .. هذا العمل لا يخصك .

اتسعت عينا الزوجة في رُعب ، وألقت نظرة مشفقة ملتاعة على زوجها ، ثم أسرعت إلى حجرتها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وأغلقت بابها خلفها ، على حين التفتت (مارتينا) إلى (فولف) ، وسألته في برود :

— كم من الوقت ستحتمل تلك الجاسوسة المصرية وسائلنا ، في رأيك ؟

غمغم في توتر :

— يمكنني أن أعمل على أن تحتملها طويلًا ، حتى تُدلي باعتراف كامل .

أجابته في برود :

— هذا ما أنتظره منك ، فبعد أن تُدلِيَ تلك الحقيرة باعترافها ، سيكون عليك أن تقوم بعمل آخر .

سألها في قلق :

— أي عمل هذا ؟

تألقت عيناها ببريق شرس مخيف ، وهي تقول في بطء :

— أن تقتلها ..

* * *



٥ ـ لقاء الشَّرّ ..

الاثنين : الخامس من يونيو .. الثامنة والنصف صباحًا .

غادر (قدرى) مطار (برلين الشرقية) ، حاملًا حقيبة صغيرة ، لا تتناسب أبدًا مع حجمه ، وبدانته المُفرطة ، وتلفَّت حوله فى قلق وترقُّب ، حتى اقترب منه رجل طويل ، أشقر الشعر ، أسود العينين ، كثّ الشارب ، منتفخ الوجنتين ، ضخم الكرش ، وسأله بالألمانية ، فى صوت ضخم ممتلئ :

ـ هل تبحث عن واحدة من سيارات الأجرة يا سيِّدى ؟

تألَّقت عينا (قدرى) ، وابتسم وهو يقول بالإنجليزية :

ـ هلَّا تحدَّثت بالإنجليزية يا رجل ؟.. إننى لا أجيد حرفًا واحدًا من الألمانية للأسف .

مطَّ الرجل شفتيه فى أسف ، وعاد يقول بالإنجليزية ، وبلكنة ألمانية واضحة :

ـ كنت أسأل ما إذا كنت تحتاج إلى واحدة من سيارات الأجرة .

حتى اقترب منه رجل طويل ، أشقر الشعر ، أسود العينين كثّ الشارب .

هتف (قدرى) ، فى صوت أقرب إلى الضحك :

ـ بالتأكيد .

انحنى الرجل يحمل حقيبة (قدرى) ، الذى تركها له فى هدوء ، وتبعه إلى سيارة تحمل ألوان سيارات الأجرة ، فى (برلين الشرقية) ، وجلس ليحتلّ ـ بجسده الضخم ـ مقعدها الخلفى كله ، على حين جلس السائق خلف عجلة القيادة ، وهو يسأله بنفس الإنجليزية ، ذات اللكنة الألمانية :

ـ إلى أين ؟

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. أنت أعلم منّى بذلك .

ابتسم السائق فى هدوء ، وانطلق بالسيارة ، التى لم تكد تبتعد عن المطار ، حتى تغيّرت لكنة سائقها ولغته ، وهو يقول فى هدوء ، وبلهجة مصرية خالصة :

ـ كيف حالك يا عزيزى البدين ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ فى خير حال يا صديقى .. كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟.. أراهنك أن كل رجل فى (ألمانيا الشرقية) كلها يسعى خلفك .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ هذا صحيح يا صديقى ، كيف أمكنك التوصُّل إلى ذلك الاستنتاج الرائع ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا مرّة أخرى ، وهو يقول :

ـ استنتاج رائع !!.. هذا دأبك يا .. صديقى ، ما إن تطأ قدماك أرضَ دولة ما ، حتى يصاب كل رجل أمن فيها بالجنون ، ويصبح الشغل الشاغل للجميع فيها ، هو العثور عليك ، والتخلّص منك .. ولكن دعنى أهنئك أوّلا ، فتنكُّرك رائع ، ولولا أنك تتخذ وجهًا ، سبق لى أن استخرجت لك جوازًا زائفًا ، يحمل صورته ، ما أمكننى تعرُّفك أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا من حسن الحظ يا صديقى البدين ، ومن حسن الحظ أيضًا أنك قد فهمت فحوى رسالتى ، ولم تأخذ معناها حرفيًا .

هزّ (قدرى) كتفيه المكتظتين ، وهو يقول :

ـ لم يكن ذلك هيّنًا يا صديقى ، لقد اضطررت لمراجعة دفتر الشفرة السرّىّ ، الخاص بالإدارة ، حتى أدرك ما الذى كنت تعنيه بقولك : إننا سنلتقى فى الخامسة ، أمام مقرّ الحزب .. فلقد كنت واثقًا من أنك لا تعنى هذا حقًا ، خشية

أن يكون هاتفك مراقبًا ، كما جرت العادة فى (برلين الشرقية) ، بدعوى الحفاظ على الأمن .. ولقد فهمت — بعد مراجعة الشفرة — أن عبارتك تعنى أن أستقلّ طائرة السادسة صباحًا إلى (برلين الشرقية) ، وأنك ستنتظرنى فى المطار .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

— رائع يا صديقى .. لقد أجدت عملك هذه المرّة .. ماذا أحضرت معك ؟

غمز (قدرى) بعينه ، وهو يقول فى خبث :

— ألا تكفيك محتويات الحقيبة ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— دَعْك من ذلك يا صديقى البدين ، فكلانا يعلم أنها لا تحوى شيئًا ، وأن ما يهمنى هو ما يملأ كرشك الضخمة .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

— إنها الميزة الوحيدة لكَوْن المرء بدينًا يا صديقى .. إن الشرقيّين يفتشون الحقائب فى عناية بالغة ، ولكن أحدهم لن يفكّر فى تفتيش كرش رجل مسالم ، برىء المظهر مثلى .

وأزاح سترته الضخمة ، وحلّ أزرار قميصه ، ثم انتزع من فوق كرشه كيسًا من البلاستيك ، له نفس لون جسده ، وناوله إلى (أدهم) ، قائلًا :

— خذ يا صديقى .. ستجد هنا كل ما تحتاج إليه .. مسدسًا من البلاستيك ، وخزانتين ، تحوى كل منهما عشر رصاصات بلاستيكية قويّة ، وكل الأدوات اللازمة لتنكّرك بكل الوجوه ، وجوازى سفر لك ولـ (منى) ، يحملان تأشيرة دخول إلى (ألمانيا الشرقية) ، وصورتين تخالفان ملامحكما تمامًا .. هيّا .. خذ كل ذلك .

أدهشه ذلك الانطباع ، المرتسم على وجه (أدهم) ، الذى بدا وكأنه لم يسمع حرفًا واحدًا مما نطق به ، فهتف به :

— ماذا هناك يا (أدهم) ؟

وعلى الرغم من الهدوء الشديد ، الذى تحدّث به (أدهم) ، إلّا أن لهجته بدت فى أذنى (قدرى) صارمة ، حازمة ، مخيفة ، وهو يقول :

— يبدو أن خطتنا لم تنجح تمامًا يا (قدرى) .

عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق :

— ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء ، يحمل نفس الصرامة والحزم :

— أعنى أنه هناك من يطاردنا فى إصرار يا (قدرى) .

هتف (قدرى) فى ذعر :

— رجال المخابرات السوفيتية ؟!

هزَّ (أدهم) ، رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلّا يا صديقي .. إنه رجل واحد .. رجل يُدعى (موشى) .. (موشى حاييم دزرائيلى) .

* * *

لم تفقد ملامح (موشى) جمودها وبرودها ، وهو يتبع سيارة الأجرة بسيارته ، على الرغم مما يملأ نفسه من فخر وزهو ، بعد أن نجح في كشف تنكُّر (أدهم) وخُطَّته ..

لقد أدرك ، فور أن أخبرته (مارتينا) بفحوى رسالة (أدهم) الهاتفية ، أنه من المستحيل أن يكون ما قاله (أدهم) ، هو ما يَعْنِيه بالفعل ، فقد كان هذا مما لا يليق برجل مخابرات محنَّك محترف ، شديد البراعة والذكاء ، مثل (أدهم صبرى) ..

لقد أدرك على الفور أن هذه الرسالة تحمل معنى مختلفًا ، يستتر خلف معناها الواضح الصريح ، وشعر بالحنق ؛ لأنه يجهل سرّ الشفرة الخاصة ، المستخدمة في أروقة المخابرات المصرية ، إلّا أنه كان يملك مَزيَّة جيِّدة ، ألا وهي أنه كان يعرف شكل (قدرى) ، وهذا ما تجهله (مارتينا) ، ويجهله

جهازها ؛ لذا فقد أخذ يراقب الطائرات القادمة إلى مطار (برلين الشرقية) ، منذ الفجر .. وهو يتوقَّع أن يظهر (أدهم) ما بين لحظة وأخرى ، حتى رأى (قدرى) يغادر المطار ..

إنه يعترف بأن تنكُّر (أدهم) كان بارعًا ، وأنه لم يعرِفه أبدًا ، لولا ابتسامة (قدرى) ، وتألُّق عينيه ، وهو يتحدَّث مع سائق سيارة الأجرة .. لقد فهم لحظتها على الفور ، أن هذا السائق المنتفخ الوجنتين ، ذا الكرش الضخمة ، ما هو إلّا (أدهم) ؛ لذا فقد تبعه بسيارة ؛ منتظرًا اللحظة المناسبة ، التي يُوقع به فيها ، ويقتله ..

نعم .. كان هذا هو هدفه الأوَّل ..

أن يقتل (أدهم صبرى) ..

وبكل هدوء ومهارة ، راح (موشى) يتبع سيارة الأجرة ، التي يقودها (أدهم) ، حتى رآها تنحرف في طريق جانبي ، فزاد من سرعة سيارته ؛ ليلحق بها .. ولم يكد ينحرف خلفها ، حتى ضغط كمَّاحة سيارته بكل قواه ، فقد رأى السيارة متوقِّفة ، ولمح من زجاجها الخلفي جسد (قدرى) الضخم ، وهو يميل إلى الأمام ، كما لو كان ينهمك في حديث بالغ الأهمية مع سائق السيارة ..

وفى هدوء .. جذب (موشى) مشط مسدسه ، وغمغم :

ـ أعتقد أنها النهاية هذه المرّة يا رجل المخابرات المصرية ..

ثم انتقل إلى المقعد المجاور ، وغادر سيارته من الاتجاه المقابل ، حتى لا تعكس مرآة سيارة الأجرة الجانبية صورته ، وتحرّك نحوها فى خطوات سريعة ، ثم انحنى يصوّب مسدسه إلى حيث مقعد قيادتها ، وهو يقول فى صرامة ، تموج برنّة الظّفر :

ـ الوداع يا (أدهم صبرى) ..

وضغط زناد مسدسه ..

* * *



٦ ـ المعركة الحقيقية ..

رفع الطبيب (فولف) بوق سمّاعته الطبّية ، عن موضع قلب (منى) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ولكنها ليست فاقدة الوعى .. ليست كذلك على الإطلاق .

التقى حاجبا (مارتينا) فى غضب هائل ، وهى تهتف :

ـ ليست ماذا ؟

ثم جذبت (منى) من شعرها فى قسوة ، وهى تستطرد فى ثورة :

ـ هل كنت تخدعيننا طوال الوقت ، أيتها المصرية الحقيرة ؟

قاومت (منى) ضعفها ، وآلامها ، وتوتّرها ؛ لترسم على شفتيها ابتسامة ساخرة ، حاولت جاهدة أن تجعلها شبيهة بابتسامة (أدهم) ، وهى تفتح عينيها قائلة :

ـ ولقد نجحت .. أليست كذلك ؟

هوت (مارتينا) على وجهها بصفعة قاسية ، وهى تصرخ :

— أيتها اللّعينة .

ثم عادت تجذبها من شعرها فى عنف ، وهى تستطرد فى هياج :

— ستدفعين ثمن ذلك غاليًا .. سآمر (فولجا) بتعذيبك ، حتى لتكرهين ذلك اليوم ، الذى أنجبتك فيه أمك .. وسأجعلك تجثين أمامى طالبة الصفح ، وتوقّعين الاعتراف فى استسلام كامل .

صاحت (منى) فى وجهها بغضب :

— مُحال أيتها الحقيرة .. إننى لن أتهم دولتى بالتجسُّس أبدًا .. إننى أفضّل الموت .

صفعتها (مارتينا) مرّة أخرى فى عنف ، وهى تصرخ :

— كاذبة .

وازداد التماع عينيها الزرقاوين ببريق شرس مخيف ، وهى تُردف :

— إنك ستفضلين الموت حقًّا .. ستفضلينه بعد أن تنتهى منك (فولجا) .

ثم صرخت فى هياج :

— (فولجا) .

أسرعت إليها الحارسة البدينة ، وهى تقول فى اضطراب :

— بم تأمرين أيتها الرفيق الملازم ؟

رمقت (مارتينا) (منى) بنظرة وحشية ، وهى تقول فى عصبيّة :

— لقد عدّلت أوامرى يا (فولجا) .. إننى أريد اعتراف هذه المصرية الحقيرة قبل الخامسة مساءً .. هل تفهمين ؟

تطلّعت (فولجا) إلى (منى) فى سخرية وشماتة ، وهى تقول :

— هل أستخدم الصدمات الكهربائية أيتها الرفيق الملازم؟

ارتجف جسد (منى) ، حينما أجابت (مارتينا) فى صرامة :

— نعم .. ولكن حذار أن تقتليها ، قبل أن توقّع الاعتراف ..

وعادت عيناها تلتمعان فى وحشية ، وهى تستطرد :

— سيتوّج هذا انتصارى المُزدوج ، بعد أن أقتل (أدهم صبرى) ، فى تمام الخامسة .

* * *

لم تضغط سبّابة (موشى) زناد مسدسه ، إلى الحدّ الذى يكفى لانطلاق الرصاصة من فوّهته ، فقبل أن يصل إلى هذا الحدّ ، تسمّرت سبّابته فجأة ، ثم تراجعت فى حدّة ، وهو يحدّق فى مقعد

القيادة الفارغ فى دهشة ، ثم ارتسم الغضب على ملامحه ، وهو يدير فُوهة مسدسه نحو رأس (قدرى) ، قائلًا فى حِدّة :

ـــ أين (أدهم) ؟

ابتسم (قدرى) فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لن تبحث عنه طويلًا يا شيطان (الموساد) ، فهو هناك .. خلفك .

قبل أن تبلغ الكلمة الأخيرة مسامع (موشى) ، شعر بفُوهة مسدس (أدهم) تلتصق بعموده الفقرى ، وسمع هذا الأخير من خلفه ، يقول فى سخرية :

ـــ ألقِ مسدسك يا عزيزى (موشى) ، وحَذارِ أن تقاوم ، أو تحاول الالتفاف فى سرعة ، فأنت تعلم أن رصاصتى ستخترق ظهرك ، قبل أن تفعل .

لو أن شخصًا آخر هو الذى يقول ذلك ، وهو الذى يلصق فُوهة مسدسه بظهر (موشى) ، ما تردَّد هذا الأخير فى أن يتحرَّك بسرعة ، ويبتعد عن مرمى النيران ، ثم يهاجم خصمه ، ويقتله فى سرعة البرق ، أمّا حينما يكون هذا الشخص هو (أدهم صبرى) ، فالأمر يختلف ..

إن (موشى) يعلم جيّدًا أنه لن يفوق (أدهم) فى سرعة الحركة أبدًا ، وأن محاولته لن تُجدى سوى بفشل ذريع ، ما دام

خصمه هو (رجل المستحيل) ؛ لذا فقد ترك مسدسه يسقط فوق مقعد السيارة الأمامىّ ، وهو يقول فى برود ، لم يشف عما يتصارع فى أعماقه من غضب وسخط :

ـــ حسنًا يا رجل المخابرات المصرىّ .. إننى أعترف لك بالبراعة هذه المرّة .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـــ وأنا كذلك يا رجل (الموساد) .

غمغم (موشى) فى برود :

ـــ إذن فأنت تعترف ببراعتى !.. هذا طريف منك يا رجل المخابرات المصرى .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول فى تهكُّم لاذع :

ـــ من قال ذلك ؟.. لقد كنت أقصد أننى كذلك أعترف لنفسى بالبراعة .

عقد (موشى) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ـــ أنت شديد الغرور يا (أدهم صبرى) ، وسيقتلك هذا يومًا .

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

— ربما .. ولكننى لا أعتقد أن هذا سيحدث اليوم .

عقد (موشى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

— من يدرى ؟.. إن هذا اليوم يوافق ذكرى نكسة جيشكم الكبرى ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

اكتست ملامح (أدهم) بالغضب ، وهو يقول :

— كم أتمنى أن أقتلك ، من أجل عبارتك هذه أيها الوغد ؟

هتف (موشى) فى حدة :

— وماذا يمنعك ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

— إنك أعزل هذه المرة أيضًا .

هتف (موشى) غاضبًا :

— لقد كنت أحمل سلاحى ، وأنت الذى جعلنى أتخلى عنه .

أجابه (أدهم) فى غضب صارم :

— ربما لأننى لست مستعدًا لقتلك الآن .

قبض (موشى) قبضته فى غضب ، وهو يقول :

— اسمع يا رجل المخابرات المصرية .. إن الحياة لن تتسع لكلينا معًا ، لابد لأحدنا من أن يفسح الطريق للآخر .. وفى

المرة القادمة ، حينما نلتقى ، سأحرص على ألا أكون أعزل ، وسأحمل سلاحى فى مواجهتك ، وعندئذ لن يكون أمامك الخيار ، فإما أن تقتلنى ، أو أقتلك .

رانَ الصمت برهة ، ثم أجاب (أدهم) فى حزم :

— إننى أوافق .

شعر (موشى) بفوهة مسدس (أدهم) تبتعد عن ظهره ، وراودته فكرة أن يلتقط مسدسه بسرعة ، ويستدير ؛ ليطلق النار عليه ، أيًا ما كانت النتائج ، ولكن قبل أن تختمر الفكرة فى رأسه ، هوى مقبض مسدس (أدهم) على مؤخرة عنقه ، فمادت به الأرض ، وسقط على ظهره ، وقبل أن يستعيد توازنه ، رأى (أدهم) يقفز داخل سيارة الأجرة ، وينطلق بها مبتعدًا ، فنهض فى تخاذل وغمغم فى غضب :

— ابتعد يا رجل المخابرات المصرىّ .. لقد ربحت هذه الجولة ، ولكنك لن تربح المباراة .. إننى أعلم أين أجدك فى الجولة القادمة ، وسنلتقى .. وحينئذ لن يكون أمامك الخيار ، سيكون عليك أن تربح .. أو تُقتل .

* * *

فقد (قدرى) لهجته المرحة ، واكتسى صوته بغلاف سميك من الذعر والقلق والتوتر ، وهو يستمع من بين شفتى (أدهم)

إلى ماحدث ، منذ سافر (أدهم) و (منى) إلى (برلين الغربية) ، ثم هتف فى جزع :

ـ ولكن هذا يعنى أن (منى) فى خطر بالغ يا (أدهم) .. كلنا نعلم تلك الوسائل البشعة ، التى يستخدمونها فى السجن المركزى ؛ لانتزاع الاعترافات من أسراهم .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى ضيق :

ـ أعلم يا (قدرى) ، ولهذا استدعيتك ، فلابد لنا من إنقاذ (منى)، واستعادتها من بين أيديهم، قبل أن يفتكوا بها .

هتف (قدرى) فى لوعة :

ـ كيف ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ لقد أعددت خطتى يا صديقى، وكنت أنتظر قدومك؛ لتنفيذها .

هتف (قدرى) :

ـ حذار يا (أدهم) .. إنك تواجه عمالقة مخابرات الشرق هذه المرّة ، و .....

قاطعه (أدهم) فى حِدّة :

ـ سأهزمهم جميعًا يا (قدرى) ..

ولان صوته ، وتسلّلت إليه نبرة حانية حزينة ، وهو يُردف :

ـ سأهزمهم من أجل (منى) .

خفت صوت (قدرى) ، حتى بات أشبه بالهمس ، وهو يقول :

ـ وماذا لو لم تنجح ؟

زفر (أدهم) فى قوّة ، وشرد ببصره ، وهو يقول فى حزم :

ـ عندئذ ستذهب رُوحى إلى بارئها فى سلام يا صديقى ، وهى مُوقنة من أننى لم أدخر جهدًا فى سبيل إنقاذها .

همس (قدرى) فى انفعال :

ـ يا إلهى !!.. إنك تذوب حبًا لها .

أجابه (أدهم) فى قوة :

ـ لكليهما يا (قدرى) .. لـ (منى) .. ولـ (مصر) .

ثم عاد يدير محرّك سيارته ، وهو يُردف فى حزم وصرامة :

ـ ومن أجلهما سأبدأ المعركة يا (قدرى) .. المعركة الحقيقية ..

* * *



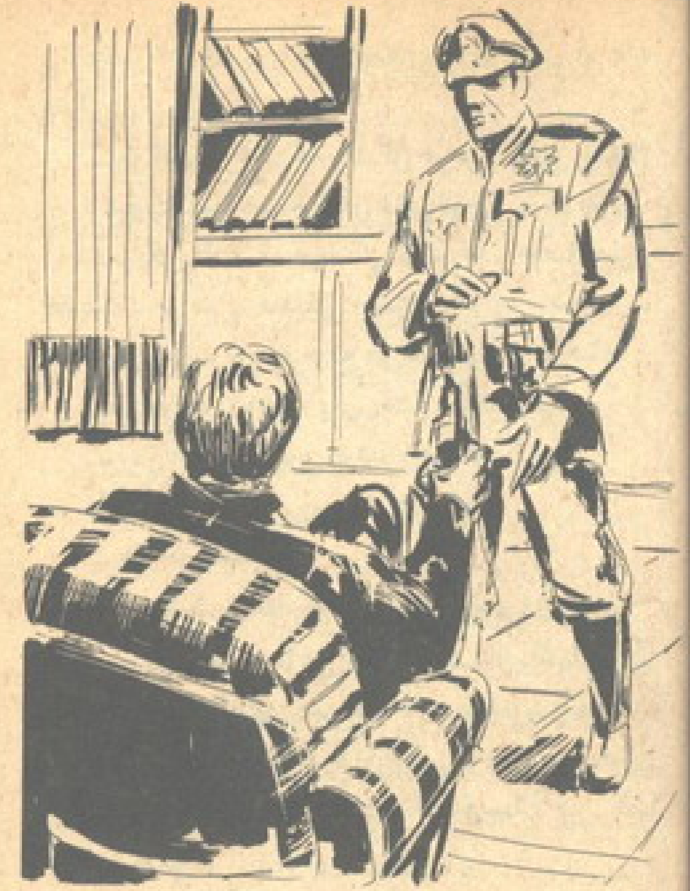
٧ — الطريق إلى الجحيم ..

عدَّل الجنرال (بافلون) وضع قبعته العسكرية فوق رأسه ، وتأمَّل وجهه جيِّدًا فى المرآة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى صرامة ، لاتخلو من لمسة زهو :

— هكذا يكون القادة .

ثم فتح درجًا صغيرًا أسفل المرآة ، والتقط منه مسدسًا ضخمًا ، دسَّه فى جراب أنيق من الجلد ، يتدلَّى من حزامه ، واستدار استعدادًا للذهاب إلى مكتبه ، فى إدارة المخابرات الشرقية .. ولكنه لم يكد يفعل ، حتى اتسعت عيناه فى ذُعر وذُهول ، واتجهت يده فى حركة غريزية نحو مسدسه ، ولكنها لم تلبث أن تسمَّرت ، حينما سمع صوت الرجل الجالس أمامه ، والذى يصوِّب إليه فوهة مسدسه ، وهو يقول فى صرامة :

— حذارِ أن تفعل يا جنرال ، ففى اللحظة التى تمسّ فيها أصابعك مقبض مسدسك ، ستخترق جمجمتك ثلاث رصاصات على الأقل من مسدسى .



واتجهت يده فى حركة غريزية نحو مسدسه ، ولكنها لم تلبث أن تسمَّرت ، حينما سمع صوت الرجل الجالس .

عقد (بافلوف) حاجبيه الغليظين ، وهو يقول فى حدّة وتوتر :

ـــ من أنت ؟ وكيف تجاوزت كل حرّاسى ؛ لتصل إلى هنا ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

ـــ لم يكن ذلك بالصعوبة التى تتصوّرها ، خاصة بعد أن حصلت ، من منزل صديقتى القديمة (مارتينا بوشكين) ، على تقرير أمنى ، يوضّح موقع منزلك ، وعدد حرّاسك .

ارتفع حاجبا (بافلوف) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ ومن أين حصلت (مارتينا) على هذا التقرير ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وهو يقول فى برود :

ـــ هذا من شأنها .

عاد (بافلوف) يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ حسنًا .. سأجبرها على إجابة هذا السؤال ، أمّا الآن ، فأنا أنتظر إجابة سؤالىّ منك : من أنت ؟.. وماذا تريد بالضبط ؟

عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتى الرجل ، وهو يقول :

ـــ ستعلم الآن ماذا أريد منك .. أما بالنسبة لاسمى ، فأنا أدعى (موشى) .. (موشى دزرائيل) ..

* * *

دارت (مارتينا) بعينيها فى ذلك الميدان الكبير ، الممتد أمام مقر الحزب ، وتألّقت عيناها ، وهى تقول لأحد الضباط ، الذين أحاطوا بها :

ـــ هل تمّت كل الاستعدادات ؛ لإلقاء القبض على الجاسوس ؟

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم أيتها الرفيق الملازم .. هناك ثلاث كتائب كاملة من الجنود ، يختبئون فى كل مكان ، ويحيطون بالميدان إحاطة السوار بالمعصم ، ومائة من الشرطة السرّيّين يجولون داخله ، فى هيئة مواطنين عاديين ، ولقد أحكمنا تحصين كل الأسطح ، ومداخل البنايات .. وما إن يدخل ذلك الجاسوس إلى الميدان ، حتى نطبق عليه ، ولن يخرج من هنا حيًّا ، إلّا وهو مكبّل بالأغلال .

التمعت عيناها ، وهى تقول فى انفعال :

ـــ عظيم .. لقد استعنت ببعض الجهات ؛ للحصول على صورة للرجل الذى سيلتقى به هنا ، ولن نخطئ معرفته ؛ فهو شديد البدانة ، مميّز الملامح .

تطلّع الضابط إلى ساعته ، وهو يقول :

— ولكن الوقت ما زال مبكرًا ، فنحن فى الواحدة ، ولن يتمّ اللقاء قبل الخامسة .

أجابته فى صرامة :

— سننتظر .

ثم أردفت فى حزم :

— إن القضاء على رجل مثل (أدهم صبرى) ، ليستحق ما هو أكثر من ذلك بكثير .

* * *

انتصب حارس بوّابة مبنى إدارة المخابرات الشرقية ، وأدّى التحية العسكرية فى احترام وتوقير ، حينما عبَرت البوابة سيارة الجنرال (بافلوف) ، رئيس الإدارة .. ولم يبالِ الحارس كثيرًا بذلك الانطباع الغاضب الصارم ، الذى ارتسم على وجه الجنرال ، وهو يغادر سيارته ، ويتجه فى خطوات سريعة إلى داخل المبنى .. فقد اعتاد مثل ذلك الانطباع ، على وجه قائده ، الذى أسرع حارسه الخاص يتقدّمه ، فى خطوات أقرب إلى العَدْو ، ويفتح له باب مكتبه ، فدلف إليه الجنرال ، وهو يقول للحارس فى صرامة :

— أرسل إلىّ أفضل رجالنا .

سأله الحارس فى اهتمام :

— أيهم يا سيّدى ؟

عقد الجنرال (بافلوف) حاجبيه الكثّين ، وهو يقول :

— فليكن (ماندل) .

غمغم الحارس فى احترام :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال ، ولكن الرفيق العقيد (ماندل) يقوم بمهمّة خاصّة فى (جنيف) .

هتف (بافلوف) فى حِدّة :

— أرسل (ألكسى) إذن ، أو أى رجل آخر .. هيّا عليك اللّعنة .

أسرع الحارس ينفّذ الأمر ، وهو يتساءل عن سِرّ حِدّة قائده هذا الصباح ، على حين اتجه (بافلوف) إلى مكتبه ، ووقف يتطلّع عَبْر النافذة إلى الخارج ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره ، حتى سمع صوت أقدام ثقيلة تدخل مكتبه ، أعقبها صوت بارد أجش يقول :

— العقيد (ألكسى) فى خدمتك أيها الرفيق الجنرال .

التفت إليه (بافلوف) ، وتأمّل ملامحه لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـــ هناك ثغرة مخيفة فى جهازنا الأمنى يا (ألكسى) .
رفع (ألكسى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :
ـــ ثغرة مخيفة ؟!.. أيّة ثغرة هذه يا جنرال ؟
مطَّ (بافلوف) شفتيه ، وهو يقول :
ـــ (مارتينا) .. الرفيق الملازم (مارتينا بوشكين) .
هتف (ألكسى) ، وقد تضاعفت دهشته :
ـــ ماذا يَعْنى ذلك أيها الرفيق الجنرال ؟
جلس (بافلوف) خلف مكتبه ، وبسط راحتيه على سطحه ، وهو يقول فى حزم :
ـــ اسمع يا (ألكسى) .. لقد تسلَّل اليوم إلى منزلى جاسوس .
اتسعت عينا (ألكسى) فى ذُهول ، وهو يهتف ، فى صوت بدا أشبه بشهقةِ فزع :
ـــ جاسوس ؟!.. فى منزلك ؟!
أومأ (بافلوف) برأسه فى صرامة ، ثم مال إلى الأمام ، قائلًا :
ـــ ولقد علمت منه أن (مارتينا) عاونته على ذلك ، وهذا يَعْنى أنها عميلة مُزْدَوَجة ، تعمل لحساب جهة ما ، بخلاف الـ (كى. جى. بى.) .

كانت المفاجأة مثيرة ، عنيفة ، حتى أن (ألكسى) جلس على أوّل مقعد صادفه ، دون أن يستأذن قائده ، وهو يهتف فى ذُهول :
ـــ عميلة مُزْدَوَجة ؟!.. لحساب من ؟
هزَّ (بافلوف) رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـــ لست أدرى بعد ، وهذا ماسنبذل أقصى جهدنا لمعرفته .
وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى لهجة آمرة :
ـــ قُمْ بتفتيش منزل (مارتينا) ، واقلب كل قطعة أثاث فيه .. ونقِّب خلف كل حجر ، حتى تأتى إلىّ بدليل ، يعرِّفنا لحساب من تخوننا .
انتقلت صرامته إلى (ألكسى) ، الذى نهض قائلًا فى حزم :
ـــ سنفعل يا جنرال ، وستنال الخائنة عقابها .
ثم لم تلبث الحَيْرَة أن عادت إلى ملامحه ، وهو يسأله مستطردًا :
ـــ ولكن لماذا تسلَّل ذلك الجاسوس إلى منزلك أيها الرفيق الجنرال ؟

هزَّ (بافلوف) كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ لقد ادَّعى أنه قد جاء ليحذِّرنى .

سأله (ألكسى) فى دهشة :

ـــ من (مارتينا) ؟

هزَّ (بافلوف) رأسه ، وهو يقول فى حَيْرة :

ـــ كلَّا .. ولكن من رجل يُدعى (أدهم صبرى) .

عقد (ألكسى) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ (أدهم صبرى) ؟!.. هل تقصد شيطان المخابرات المصرية ، الذى فاقت شهرته الآفاق ؟

أجابه (بافلوف) فى عصبيَّة :

ـــ هو ذاته .

هتف (ألكسى) فى انفعال :

ـــ ومِمَّ يحذِّرك ؟

قلَّب (بافلوف) كفَّيه فى حَيْرة ، وقال :

ـــ لقد قال إن (أدهم صبرى) سيتسلَّل إلى السجن المركزىّ ؛ ليحاول إنقاذ زميلته ، التى نحتجزها هناك ، بتهمة التجسُّس .

عقد (ألكسى) حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يقول :

ـــ إلى السجن المركزىّ ؟!.. ولكن هذا مستحيل !!.. لا أحد يمكنه التسلُّل إلى هناك دون إرادتنا .

نهض (بافلوف) من خلف مقعده ، وهو يقول :

ـــ سأنطلق على الفور إلى هناك ، وأتأكَّد من استحكام وسائل الأمن ، أما أنت ، فقُم بما أمرتك به .. ولو أن (مارتينا) خائنة بالفعل ، فستدفع الثمن غاليًا .. غاليًا جدًّا ..

* * *

انتفض جسد (منى) فى قوَّة ، حينما سرى فيه تيار كهربىّ شديد ، ثم تراخى كله ، وسالت دموع الألم والمرارة من عينيها ، وشحب وجهها فى شِدَّة ، فأطلقت الحارسة البدينة (فوجا) ضحكة قاسية ، وهى تقول فى شماتة :

ـــ ما رأيك أيتها الجاسوسة المصرية ؟.. أتوقِّعين ذلك الاعتراف الصغير ، أم أضغط الزرّ مرَّة أخرى ؟

هتفت (منى) فى وَهَن :

ـــ اذهبى إلى الجحيم .

عقدت (فوجا) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـــ الجحيم من نصيبك أنت ، أيتها المصرية اللَّعينة .

ومرَّة أخرى انتفض جسد (منى) فى قوَّة ، حينما ضغطت (فوجا) الزرّ ، ثم عاد يسترخى فى ألم ، مع صوت (فوجا) ، وهى تقول فى حِدَّة :



ومرّة أخرى انتفض جسد (منى) فى قوّة ، حينما ضغطت (فولجا) الزّر ، ثم عاد يسترخى فى ألم .

— إننى لم أشهد من هو أشد عنادًا منك أيتها المصرية ، ولكننا نملك هنا العلاج المناسب لكل أنواع العناد .

ثم صاحت فى غضب :

— أين الدكتور (فولف) ؟

أجابها حارس القبو :

— لقد عاد إلى منزله ؛ ليتناول طعام الغداء .

صرخت فى هياج :

— هذا الغبىّ !.. لقد أمرتنا الرفيق الملازم (مارتينا) بالحصول على الاعتراف ، قبل الخامسة ، وما كان له أن ينصرف .

وقعت عيناها فى تلك اللحظة على (فولف) ، وهو يعود إلى القبو ، فاستطردت فى حِدّة :

— أين ذهبت ؟

أجابها فى برود لم تعتده منه ، وبصوت أجش :

— إلى منزلى .. إن اللوائح تمنحنى ساعة لتناول الغداء .. أليس كذلك ؟

عقدت حاجبيها فى غضب ، وأشارت إلى جسد (منى) ، التى بلغ عذابها مبلغه ، وقالت :

— حسنًا .. إننى أنتظرك لتلقّن تلك المصرية اللّعينة درسًا .

سألها فى خشونة :

— أى درس هذا ؟

تألقت عيناها فى دهشة ، وهى تقول :

— لقد فشلت معها كل الوسائل ، وسنلجأ إلى الوسيلة الأخيرة .

اتسعت عينا (منى) فى رُعب ، حينما أردفت (فولجا) فى شماتة :

— سنبتر أطرافها ، واحدًا بعد الآخر ، وسنبقى يدها اليمنى للنهاية ؛ لتوقّع بها الاعتراف .

ظلّت ملامح (فولف) جامدة ، وهو يقول :

— حسنًا .. فلنفعل .

ثم اتجه إلى صوان صغير ، وتناول منه منشارًا صدئًا ، ومشرطًا جراحيًا قديمًا ، وعاد بهما إلى حيث ترقد (منى) ، التى صرخت فى رُعب :

— أيها المتوحّشون .. أيها الأوغاد .

مطّ (فولف) شفتيه فى لامبالاة ، ثم اتجه بمشرطه ناحية معصم (منى) الأيسر ، وهو يقول فى برود :

— هل نبدأ بكفّها اليسرى ؟

ابتسمت (فولجا) فى وحشية وشراسة ، وهى تقول :

— بل بقدمها اليمنى ..

ثم أطلقت ضحكة مخيفة ، قبل أن تردف :

— إن القدم تنزف أكثر ..

صرخت (منى) فى رُعب هائل :

— كلّا .. كلّا أيها المتوحّشون ..

وفى لامبالاة كاملة ، اتجه مشرط (فولف) نحو قدمها اليمنى ، وبدأ يستعد لبترها ..

* * *



٨ ـ الشيطان ..

« كفى .. » ..

ارتجت جدران قبو السجن المركزى ، بتلك الصيحة الغاضبة الصارمة ، التى سمرت يد (فولف) فى مكانها ، وجعلت جسد (فولجا) ينتفض فى قوة ، وجسد حارس القبو ينتصب فى خوف .. واستدارت كل العيون إلى مصدرها ، حيث يقف الجنرال (بافلوف) ، عاقدا حاجبيه الكثين فى غضب ، وعاقدا كفيه خلف ظهره فى صرامة ..

وأسرع الحارس يؤدى التحية العسكرية بيد مرتجفة ، على حين بقيت ملامح (فولف) جامدة ، وشحب وجه (فولجا) ، وهى تقول :

ــ إننى أنفذ أوامر الرفيق الملازم (مارتينا بوشكين) ، أيها الرفيق الجنرال .

صاح بها (بافلوف) فى غضب :

ــ وهل كانت أوامرها تقتضى تحويل قبو السجن المركزى إلى مجزر ، تبترون فيه الأطراف ، بلا رحمة أو شفقة ؟

غمغمت (فولجا) فى ارتباك :

ــ إننا نستجوب جاسوسة أيها الرفيق الجنرال ، ولقد احتملت كل وسائل الاستجواب ، ولم يعد باقيا سوى تلك الوسيلة ، كما تعلمنا ، و .....

قاطعها (بافلوف) فى صرامة :

ــ قلت كفى .

ثم أردف فى حزم :

ــ حُلّى وثاق الأسيرة ، فستصحبنى إلى إدارة المخابرات ، حيث نستكمل استجوابها بمعرفتنا .

عقدت (فولجا) حاجبيها فى غضب ، بعد أن حرمها الجنرال متعتها الشاذة ، فى تعذيب الآخرين ، وغمغمت فى حنق :

ــ كما تأمر أيها الرفيق الجنرال .

وراحت تحل وثاق (منى) فى عصبية ، على حين التفت (بافلوف) إلى الحارس ، وقال فى صرامة :

ــ اذهب ، وانتظر فى الخارج ، فلدى حديث سرى هنا .

أدى الحارس التحية العسكرية ، وأسرع الخطا إلى الخارج ، فى حين وقف (بافلوف) فى صرامة ، يراقب (فولجا) ، وهى تحل وثاق (منى) ، التى بدا الألم والوهن واضحين فى محياها ، ثم سألها فى هدوء :

— هل تعرّضت لأىّ نوع من التعذيب ؟

ابتسمت فى ضعف ومرارة ، وهى تقول :

— هل تمزح ؟.. لقد أذاقتنى تلك اللّعينة كل صنوف العذاب ، بلا رحمة أو شفقة ، حتى كادت تبتر أطرافى ، لولا وصولك .

حدج (بافلوف) (فولجا) بنظرة غاضبة ، تفيض مقتًا وكراهية ، فامتقع وجهها ، وهى تقول فى حِدّة :

— لقد كنت أنفّذ أوامر الرفيق الملازم ..

قال (بافلوف) فى صوت هادئ ، تجمّدت له — على الرغم من ذلك — الدماء فى عروق (فولجا) :

— هكذا ؟!

جفّ لعاب (فولجا) ، وهى تتطلّع فى رُعب إلى عينى (بافلوف) الصارمتين ، وخُيّل إليها — على الرغم من معرفتها لصرامته الشديدة — أنه يبدو اليوم مُرعبًا ، وأن عينيه لم تكونا أبدًا بمثل هذا الغضب والحزم ، وغمغمت فى صوت مضطرب :

— كنت أنفّذ الأوامر .

ظلّ يتطلّع إليها بنظراته الصارمة لحظة فى صمت ، ثم بدا صوته مخيفًا ، شديد العمق ، وهو يقول :

— إنك تستحقين مكافأة .

وفى برود .. التقط مسدّسه من جرابه الجلدىّ الأنيق ، مستطردًا فى صرامة :

— مكافأة مناسبة .

تراجعت (فولجا) فى رُعب ، وهى تتطلّع إلى فوّهة كاتم الصوت ، الذى يتقدّم المسدّس ، قائلة فى صوت متحشرج مختنق :

— إنه عمل .. إننى أنفّذ الأوامر دائمًا .

اتسعت عينا (منى) فى دهشة ، وهى تحدّق فى شفتى (بافلوف) ، اللّذين خرج منهما صوت مخالف لصوته ، يقول فى غضب صارم :

— لقد أقسمت أن أقتل كل من يمسّ هذه الفتاة بسوء ، وأنا لا أحنث بقسمى أبدًا أيتها البدينة المتوحشة .

خنق الرُّعب صوت (فولجا) فى حلقها ، واتسعت عينا (فولف) ، وهو يهتف فى دهشة :

— يا للشيطان !!

أمّا (منى) ، فعلى الرغم من كل ما تشعر به من الام مبرّحة ، إلا أنها قفزت من مقعدها ، وهى تهتف فى سعادة غامرة :

— (أدهم) ؟!.. مستحيل!!.. كنت أعلم أنك ستهبُّ لنجدتى .. كنت أعلم أنك لن تتركنى .

ثم انخرطت فى بكاء حارّ ، على حين اتسعت عينا (فوجلا) فى رُعب وذهول ، وعجزت حتى عن الصراخ ، و (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية الجنرال (بافلوف) ، يستطرد فى غضب :

— إنك تستحقين أن آمر هذا الطبيب اللّعين ، الذى تجاهل كل معانى الرحمة والإنسانية ، اللّتين من المفروض أن يؤمن بهما ، ويعمل من أجلهما — ببتر أطرافك ، واحدًا بعد الآخر ؛ لتذوق العذاب ، الذى أردت أن تسوميها إيّاه ، ولكن ديننا يقول : «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة» .. ويؤكّد أن لنا فى القصاص حياة .. والوحوش من أمثالك يستحقون القتل أيّتها الحقيرة ..

تحشرج صوت (فوجلا) فى شدّة ، وهى تغمغم فى رُعب :

— كلّا .. كلّا ..

وفى برود وغضب ، رفع (أدهم) فُوّهة مسدّسه نحو رأس (فوجلا) ، وهو يقول :

— إلى الجحيم أيّتها المتوحّشة ..

صاحت (منى) فجأة فى ذعر :

— كلّا يا (أدهم) .. كلّا .

ثم هبّت من مقعدها ، على الرغم من كل ما تشعر به من آلام ، وتعلّقت بذراعه ، هاتفة فى ضراعة :

— إننى أعلم أنك ستفعل ذلك من أجلى ، ولكننى أتوسّل إليك ألّا تفعل .. صحيح أننى أمقت هذه اللّعينة شرّ المقت ، ولكننى أعلم أن قتلها يخالف شيمتك ومبادئك .. فأنت لم تقتل أبدًا امرأة ، أو شخصًا أعزل ، وهى الآن تجمع بين الصفتين .. وسأكون أشدّ أهل الأرض بؤسًا ، لو أنك خالفت مبادئك من أجلى .. إننى أحبك هكذا يا (أدهم) ، بكل صلابتك وإيمانك ، وعنادك وقوتك .. أحبك بإصرارك على المضىّ فى طريق الحق ، وإخلاصك لوطنك ومبادئك .. إبْقَ كذلك من أجلى يا (أدهم) .. أرجوك .

فاض الحنان من عينيه ، وهو يربّت على رأسها ، مغمغمًا فى عاطفة جيّاشة :

— سأبقى يا (منى) .. سأبقى عليها من أجلك .. من أجلك وحدك .

كان الموقف عاطفيًا عجيبًا ، وسط قبو الجحيم ، ولكنه منح (فوجلا) ما يكفى لتسترد جأشها ، وتلتقط مسدّسها من حزامها ، ثم ترفعه نحوهما ، صارخة فى ثورة :

ـــ أمّا أنا فلن أبقى عليكما .. سأقتلكما معًا ..

وانطلقت رصاصتان داخل القبو ، أصابت كل منهما هدفها فى إحكام شديد ..

* * *

اجتاح الانفعال جسد (مارتينا بوشكين) ، وهى تزيح خصلة من شعرها الذهبىّ عن عينيها ، وتشير بأصابع مرتجفة إلى رجل بدين ، اجتاز ميدان الحزب فى خطوات هادئة ، قبل أن يتوقّف إلى جوار تلك النافورة الأثريّة الأنيقة ، التى تتوسّطه ، ويتطلّع إلى ساعته فى اهتمام ، ثم يتلفّت حوله فى ترقّب ، وهتفت فى هياج :

ـــ ها هوذا .. ها هوذا (قدرى) .. سيصل (أدهم صبرى) بعد لحظات .

هتف الضابط ، الذى يقف إلى جوارها ، فى دهشة :

ـــ لقد وصل مبكّرًا للغاية ، فالساعة لم تتجاوز الثالثة بعد .

صاحت فى انفعال :

ـــ فليصل وقتما يشاء .. المهم أن وصوله يعْنِى صحة الموعد ، وأن (أدهم صبرى) سيقع فى قبضتنا ولا شكّ .

تطلّع إليها الضابط فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ يبدو أنك تحملين مقتًا شديدًا لذلك الجاسوس ، أيّتها الرفيق الملازم .

صاحت فى وجهه فى صرامة :

ـــ ليس هذا من شأنك .

ثم عادت عيناها تلتمعان فى وحشية ، وهى تستطرد فى شراسة :

ـــ إنه جاسوس ، وأنا أكره كل جاسوس .. وبالذات هذا الرجل .. (أدهم صبرى) .

هزّ الضابط كتفيه ، وهو يتطلّع إليها فى حَيْرة ، ثم غمغم :

ـــ هذا طبيعى .. ولكننا سنقضى على هذا الجاسوس بالتأكيد .

ألقت (مارتينا) نظرة طويلة ، مُفْعَمة بالكراهية ، على (قدرى) ، ثم قالت :

ـــ نعم .. سنقضى عليه بالتأكيد .

* * *

لم يبلغ صوت الرصاصتين مسامع الحارس ، الذى يقف متأهّبًا على باب القبو ؛ لأن الرصاصتين قد انطلقتا من فوّهة مسدّس مزوّد بكاتم للصوت ..

ولكنه لم يكن مسدس (أدهم) ..

كان مسدس (فولف) ، الذى أطلق رصاصتين صائبتين ، اخترقت إحداهما رأس (فولجا) ، بين عينيها تمامًا ، وأطاحت الأخرى بمسدس (أدهم) ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ هذا لا يخالف مبادئك .. أليس كذلك ؟

اعتدل (أدهم) فى هدوء ، على حين حدقت (منى) ، فى ذُعر ودهشة ، فى وجه (فولف) ، قبل أن يقول (أدهم) ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ بلى .. أنت قتلتها ، لا أنا .

ران الصمت لحظة ، ثم قال (فولف) :

ـ انزع قناعك ، ودعنى أرى ملامحك .

وبكل هدوء ، نزع (أدهم) ذلك القناع ، الذى يحمل وجه الجنرال (بافلوف) ، فبدت ملامحه الوسيمة ، وابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا .. والآن يمكنك أن تخلع قناعك بدوْرك .

هتفت (منى) فى دهشة :

ـ قناعه .

وتضاعفت دهشتها ، حينما نزع (فولف) عن وجهه قناعًا ، فظهرت ملامحه الحقيقية المعروفة ..

ملامح (موشى دزرائيلى) ..

* * *



٩ ــ المبــارزة ..

ارتفع حاجبا حارس أمن بوّابة مبنى إدارة المخابرات الشرقية ، فى دهشة ، حينما رأى قائده الجنرال (بافلوف) يقفز من واحدة من سيارات الأجرة ، متورّم العين اليسرى ، ويندفع فى غضب داخل المكان ، دون أن ينتظر تحية الحارس العسكرية ..

ولم تكن دهشة العاملين بالمبنى بأقلّ من دهشة الحارس ، حينما رأوا قائدهم يندفع نحو حجرة مكتبه ، بكدمة زرقاء كبيرة حول عينه ، وهتف به حارسه فى هلَع :

ــ ماذا أصاب عينك أيها الرفيق الجنرال ؟

صاح به (بافلوف) فى حِدّة :

ــ أرسل لى (ألكسى) على وجه السرعة .

ارتفع حاجبا الحارس فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولكنه ليس هنا يا سيّدى .

صاح (بافلوف) فى غضب :

ــ أين ذهب بحقّ الشيطان ؟

ارتسمت الحَيْرة على وجه الحارس ، وهو يقول :

ــ أنت أرسلته فى مهمة خاصة يا سيّدى ، منذ ساعتين .

ارتفع حاجبا (بافلوف) الكثّين ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يهتف :

ــ أنا ؟!.. أنا أرسلته ؟

غمغم الحارس فى مزيج هائل من الدهشة والحَيْرة :

ــ نعم أيها الرفيق الجنرال ، لقد طلبت استدعاءه ، حينما أتيت هنا منذ ساعتين ، و......

قاطعته صرخة (بافلوف) :

ــ يا للشيطان !!

ثم قفز إلى مكتبه ، واختطف سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى عصبيّة وانفعال :

ــ تعالَ إلى مكتبى على الفور يا (بوجيف) .. نعم ..إنه أمر بالغ الخطورة .. بل هو على الدرجة القُصْوَى منها .. نعم .. هناك جاسوس ينتحل شخصيتى .

ووضع سمّاعة الهاتف فى قوّة ، فى نفس اللحظة ، التى اندفع فيها (ألكسى) إلى مكتبه ، هاتفًا :

ــ سيّدى الجنرال .. لن تصدّق ما عثرنا عليه فى منزل

(مارتينا) .. لقد صدق حدسك يا سيِّدى .. إنها جاسوسة مُزدوَجة .

اتسعت عينا (بافلوف) فى ذُهول ، وهو يهتف :

ـ جاسوسة مُزدوَجة ؟!.. (مارتينا بوشكين)؟!

أجابه (ألكسى) فى انفعال :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد نفَّذت أوامرك ، وقمت بتفتيش مسكنها ، فعثرت على ما لا يمكن أن يخطر ببالك .

غمغم (بافلوف) فى ذهول :

ـ تفتيش مسكنها ؟!.

ثم تهاوَى على مقعده ، وكأنما لم يعد يحتمل مزيدًا من المفاجآت ، على حين ألقى (ألكسى) أمامه بكُومة أشياء ، وهو يستطرد بنفس الانفعال :

ـ انظر أيها الرفيق الجنرال .. انظر ما عثرنا عليه لدى (مارتينا) .. إنها أخطر قضية فى تاريخنا .. إنها قنبلة .

حدَّق (بافلوف) فى الأشياء المتناثرة أمامه فى ذُهول ، ثم أخفى وجهه بكفَّيْه ، وهو يغمغم فى انهيار :

ـ مستحيل !!.. مستحيل !!

سأله (ألكسى) فى جزَع :

ـ ماذا بك أيها الرفيق الجنرال ؟

لوَّح (بافلوف) بكفِّه فى مرارة ، ثم سأل (ألكسى) فى اهتمام :

ـ اسمع يا (ألكسى) .. لقد قابلتنى منذ ساعتين ، وأمرتك بتفتيش منزل (مارتينا) .. أليس كذلك ؟

هتف (ألكسى) فى حماس :

ـ بلى أيها الرفيق الجنرال ، وإليك يعود فضل كشف تلك الخائنة .

رقَّ صوت (بافلوف) ، وإن لم يخلُ من توتُّر شديد ، وهو يقول :

ـ وأين ذهبت أنا بعد ذلك ؟

أجابه (ألكسى) فى دهشة :

ـ إلى السجن المركزىّ يا سيِّدى .

اتسعت عينا (بافلوف) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ـ السجن المركزىّ ؟!

قلب (ألكسى) كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيِّدى الجنرال .. هذا ما قلته أنت .

اختطف (بافلوف) سمَّاعة الهاتف فى عنف ، وصاح فى بُوقها فى توتُّر بالغ :

— صلنى بالسجن المركزىّ على الفور .. هناك محاولة لتهريب الجاسوسة ، لابدّ من إحباطها فورًا ، مهما كان الثمن ..

* * *

لم تفقد ملامح (موشى) جمودها التقليدىّ ، وهو يصوِّب مسدسه إلى (أدهم) ، قائلًا فى برود :

— أظن أنه من العدل أن تعترف لى بالبراعة حقًا ، هذه المرّة ، فأنت لم تتوقّع أبدًا أننى أنتحل شخصية ذلك الطبيب الحقير .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— هذا صحيح ..

لم تتغيّر ملامح (موشى) الجامدة ، ولكن نبْرة زهْو تسلّلت إلى صوته ، وهو يقول :

— كنت أعلم أن هذا الحقير يمتلك حرية حركة واسعة ، داخل وخارج السجن المركزىّ ، بحكم كونه خبير التعذيب الأوّل ، وأنه يصرُّ دوْمًا على تناول طعام غدائه مع زوجته ، فى منزلهما ؛ لذا فقد ترقّبت خروجه ، وقتلته ، وانتحلت شخصيته ، وعدت لأنتظرك هنا .. كنت أعلم أنك ستسعى ؛

لإنقاذ زميلتك بالضرورة ، فنحن نعلم ، فى (الموساد) ، أنك شديد التعلّق بها ، وأنك لاتتأخر جهدًا لإنقاذها ، والذّود عنها ، مهما كانت الظروف .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— كم يسعدنى أنكم تعلمون ذلك !!

مطّ (موشى) شفتيه ، وهو يقول :

— إنها نقطة ضعف بالغة الخطورة ، فى شخصيتك يا رجل المخابرات المصرىّ .. فمن الضرورىّ أن يتجرّد رجل المخابرات الناجح من كل العواطف والمشاعر .

أجابه (أدهم) متهكّمًا :

— هل تظن ذلك ؟

قال (موشى) فى جدّيّة :

— بالتأكيد .. لقد جعلتنى عواطفك أتوقّع خطوتك التالية ، وهذا يشينك كرجل مخابرات .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أدهشت (موشى) ، الذى احتفظ بوجهه الصخرىّ الجامد ، حتى قال (أدهم) :

— خطأ يا عزيزى (موشى) .. إنك لم تتوقّع خطواتى أبدًا .. هل تعلم ماذا فعلت ، منذ تركتك أنا و (قدرى) ؟..



أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أدهشت (موشى) ، الذى احتفظ بوجهه الصخرى .

لقد ذهبت لزيارة منزل (مارتينا) ، ووضعت هناك بضعة أشياء ، ستؤدّى بالضرورة إلى إعدامها ، أو نفيها إلى (سيبيريا) على الأقل ، هل تدرى طبيعة هذه الأشياء يا رجل (الموساد) .

غمغم (موشى) فى ضيق :

— لا ريب أنها بعض الأدلة ، على عملها لحسابنا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— أخطأت أيها الوغد .

ثم استطرد فى جِدّيّة :

— هنا يا صديقى ، فى (برلين الشرقية) ، توجد تهمة أشد خطورة من العمل لحساب (الموساد) .. تهمة تثير جنون وحفيظة رجال الأمن فى شدّة .

وعقد ساعديه خلف ظهره ، وهو يستعيد لهجته الساخرة ، مستطردًا :

— حينما يفتشون منزل عزيزتنا (مارتينا) ، سيعثرون فى ركن خفيّ من حمّامها ، على بطاقة أنيقة تحمل صورتها ، وإلى جانبها شعار قديم ، مازال يثير بغض كل دول العالم تقريبًا .. شعار الحزب النازىّ .

ارتفع حاجبا (موشى) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ يا للشيطان !!

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يستطرد :

ـ صليب أسود معقوف ، وسط دائرة بيضاء ، يحيط بها مستطيل أحمر .. شعار مخيف ، خاصة لو أضفنا إليه صفة خاصة ، تؤكِّد أن (مارتينا بوشكين) زعيمة منظمة جديدة ، تسعى لإحياء النازية فى شرق (أوروبا) و (آسيا) ، وبعض الرسائل المتبادلة بينها وبين أفراد وهميِّين فى هذه المنظمة ، وتحمل توقيعًا كوديًّا ، هو اسم (مارتينا كوربوف) .. وهو نفس الاسم المدوَّن فى تلك البطاقة ، التى تحمل صورة عزيزتنا (مارتينا بوشكين) .

رانَ الصمت لحظة ، ثم غمغم (موشى) فى برود :

ـ فلتذهب (مارتينا) إلى الجحيم .. إن أمرها لا يَعْنينى أبدًا .

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى ساخرة ، وقال :

ـ انتظر يا عزيزى (موشى) .. إننى لم أتمّ حديثى بعد ، فلقد كانت خطوتى التالية هى التسلُّل إلى منزل الجنرال (بافلوف) ، رئيس إدارة المخابرات الشرقية ، التى هى فى

الواقع فرع من الـ (كى. جى. بى.) ، فى (ألمانيا الشرقية) .. ولقد أصيب الرجل بالذُّهول ، حينما رآنى ، فتحدَّثت إليه قليلًا .. ولمَّا وجدت أنه ينوى المقاومة ، أهديته لكمة طريفة ، ألقت به فى غيبوبة طويلة ، ثم صنعت قناعًا لوجهه ، هو ذلك القناع الذى نزعته الآن .

قال (موشى) فى برود :

ـ وماذا يَعْنينى فى هذا ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ لقد تصوَّرت أنه يَعْنيك ، فلاشك أن (بافلوف) سيقيم الدنيا ويقعدها ، بحثًا عن ذلك الرجل الذى تسلَّل إلى منزله .. وبالمناسبة ، لقد استخدمت اسمك ، وأنا أخبره باسمى ، وكنت بالمصادفة أحمل وجهًا يشبهك تمامًا .

عقد (موشى) حاجبيه فى غضب ، وهو يَحْدج (أدهم) بنظرة صارمة ، ثم قال فى بطء :

ـ أنت ثعلب شيطانىّ يا رجل المخابرات المصرىّ .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، واكتفى بابتسامة ساخرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فاستطرد (موشى) فى حِدَّة ، أفقدت ملامحه جمودها :

— هل تتصوّر أنك أفضل منّى ؟

مطّ (أدهم) شفته السفلى ، وهو يقول فى هدوء :

— بالتأكيد ..

رفع (موشى) مسدّسه فى وجه (أدهم) ، بامتداد ذراعه ، وهو يقول :

— سأقتلك من أجل هذا يا (أدهم صبرى) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— لن يثبت ذلك أنك الأفضل ، فأنت تحمل سلاحك ، وأنا أعزل ، ولو أننى أحمل مسدّسًا بدوْرِى ؛ لاختلف الأمر تمامًا .

انعقد حاجبا (موشى) فى غضب ، واتجه فى صرامة نحو مسدّس (أدهم) ، فالتقطه ، وقال لـ (منى) :

— ابتعدى .

تطلّعت (منى) إلى (أدهم) فى قلق وتساؤل ، فأومأ برأسه إيجابًا ، مما جعلها تتركه ، وتبتعد إلى ركن الحجرة ، فألقى إليه (موشى) المسدّس ، وهو يقول :

— ضعه فى حزامك ، وحذار أن تحيط مقبضه بأصابعك ، وإلا أطلقت النار عليك .

وضع (أدهم) المسدّس فى حزامه بهدوء ، فاستطرد (موشى) فى حدّة :

— سنختبر الآن مَنْ منّا الأفضل يا (أدهم صبرى) .. سأضع مسدّسى فى حزامى بدوْرِى ، وتعُدّ زميلتك إلى ثلاثة ، ثم يطلق كل منّا النار نحو الآخر ، وبعدها سيبقى الأفضل ، ويذهب الأبطأ .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— أهى تشبه لعبة رُعاة الأبقار الأمريكيين ؟

أجابه (موشى) فى صرامة :

— تمامًا ..

ثم أردف فى حزم :

— ولتعلم أننى لم أخطئ إصابة هدف قطّ .

أجابه (أدهم) فى برود :

— حتى الآن .

ثم أشار إلى (منى) ، بعد أن وضع (موشى) مسدّسه فى حزامه ، فتردّدت لحظة ، ثم بدأت العدّ بـ (واحد) ، ثم (اثنين) .. وقبل أن تلفظ بالرقم الثالث ، سحب (موشى) مسدّسه ، وصاح :

— والآن مُتْ يا (أدهم صبرى) .. مُتْ ..

* * *

١٠ — اقتل تربح ..

رفع قائد السجن المركزى سماعة هاتفه ، إثر رنينه المتواصل ، وقال فى مزيج من الصرامة والضيق :

— هنا العقيد (مولوتوف) ، من المتحدث ؟

أثار صوت محدثه دهشته وذعره إلى أقصى حد ، حتى أنه هب من مقعده ، وانتصب فى وقفة عسكرية ، وهو يردف :

— نعم أيها الرفيق الجنرال (بافلوف) .. إنه أنا .. نعم .. إننى أستمع جيدًا .

اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يستمع إلى كلمات (بافلوف) الصارخة ، مرددًا :

— جاسوس ينتحل شخصيتك ؟!.. هنا ؟!.. فى السجن المركزى .. نعم .. نعم أيها الرفيق الجنرال ، سأتخذ كل الإجراءات اللازمة ؛ لمنع خروجه ، وإلقاء القبض عليه ، أو قتله إذا لزم الأمر .. نعم أيها الرفيق الجنرال .. سننتظر حضورك بالتأكيد .

ووضع سماعة الهاتف فى ذهول ، وهو يردد :

— جاسوس ينتحل شخصيته ؟!.. هنا ؟!

ثم التقط بوق مكبر الصوت الداخلى ، وهو يستطرد فى غضب حازم :

— لا ريب أنه جاسوس خطير ، حتى ينجح فى الدخول إلى هنا هكذا .. ولكنه ما دام قد دخل بقدميه ، وكامل إرادته ، فلن يغادرنا سوى بإرادتنا .. أو جثة هامدة .

* * *

لم يطلق (موشى) رصاصة مسدسه ..

لم يطلقها أبدًا ..

لقد سحب مسدسه قبل نهاية العد ، ليقتل (أدهم) غدرًا وغيلة ، ولكنه لم يفعل ..

لقد التقطت عين (أدهم) حركته السريعة ، وتحركت يده فى سرعة خارقة ، تكاد تتفوق على البرق ذاته ، فالتقط مسدسه من حزامه ، ورفع فوهته نحو صدر (موشى) .. وأطلق النار ..

واخترقت رصاصة (أدهم) صدر (موشى) ، فى موضع القلب تمامًا ، قبل أن تنطلق رصاصة هذا الأخير ، فجحظت

عيناه فى ألم وذهول ، ورفع كفّه إلى صدره ، يتحسس الدماء ، التى اندفعت من جرحه فى غزارة، ثم غمغم فى ذهول :

ــ يا للشيطان !!.. إنك الأسرع !!

أعاد (أدهم) المسدّس إلى حزامه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نعم يا (موشى) .. هذا ما أثبتته التجربة .

ترنّح (موشى) فى تخاذل ، ورفع مسدسه نحو (أدهم) ، وهو يقول فى ضعف :

ــ مازال يمكننى أن أقتلك .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ يمكنك أن تحاول .

أغرقت الدماء قميص (موشى) ، وهو يحاول تصويب مسدسه نحو (أدهم)، ثم ضغط الزّناد، ولكن رصاصته لم تصب (أدهم) ..

لقد مرقت على قيد سنتيمتر واحد من رأسه ، دون أن يتحرك (أدهم) قيد أنملة ..

لقد أخطأ (موشى حاييم دزرائيلى) إصابة هدفه ، لأوّل مرّة فى حياته ..

ولآخر مرّة ..

وغمغم (موشى) فى انهيار :

ــ نعم .. إنها النهاية ..

ثم سقط جثة هامدة ..

وران صمت رهيب داخل القبو ، قبل أن تغمغم (منى) :

ــ لقد .. لقد قتلته .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ هذا ما كان ينبغى أن أفعله منذ البداية .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق صوت العقيد (مولوتوف) ، قائد السجن ، عبْر مكبّرات الصوت المنتشرة فى المكان ، وهو يقول فى انفعال :

ــ فلينتبه الجميع .. الجنرال (بافلوف) ، الذى حضر لزيارة السجن منذ ساعة واحدة ، ليس هو الجنرال (بافلوف) الحقيقىّ .. إنه جاسوس زائف .. ابحثوا عنه واقتلوه .. أكرّر .. ابحثوا عنه واقتلوه ..

وقبل أن يكرّر (مولوتوف) نداءه ، اندفع حارس القبو داخله ، وشهر مدفعه الرشاش فى وجه (أدهم) و (منى) ، وضغط الزّناد ..

* * *

تطلّع (قدرى) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة وعشر دقائق ، ثم زفر فى قلق ، وتحرّك من مكانه ، وهو يشير إلى واحدة من سيارات الأجرة ، فهتفت (مارتينا) ، التى تراقبه مع رجال الأمن من بعيد ، فى دهشة :

ـــ ماذا ؟!.. هل سينصرف قبل أن يحين الموعد ؟

أجابها الضابط الذى يجاورها ، فى قلق :

ـــ نعم .. هذا مايبدو ..

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تغمغم :

ـــ ولكن كيف ؟.. كيف ؟

ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها ، وهى تفكّر فى عمق ، قبل أن تهتف :

ـــ يا للشيطان !!.. إنها خُدعة .. لقد كان خُدعة منذ البداية .

ثم تشبّثت بذراع الضابط ، وهى تستطرد فى انفعال :

ـــ لقد كانوا يشتّتون انتباهنا فحسب ، حتى نبقى هنا ، ونقضى الوقت فى مراقبة ذلك البدين ، على حين يضرب (أدهم) ضربته فى مكان آخر .. فى السجن المركزىّ على الأرجح .

هتف الضابط فى غضب :

ـــ لابدّ من إلقاء القبض على ذلك البدين .. سأقتله بمسدسى .

صاحت فى عصبيّة :

ـــ كلّا .. بل ينبغى أن نتركه يذهب ، ثم نتبعه عن كثب ، فلاريب أنه سيلتقى بذلك الشيطان المصرىّ إن عاجلًا أو آجلًا .

وحملت كلماتها بُغضًا مخيفًا ، وهى تُردف :

ـــ وعندئذ سأقتل (أدهم صبرى) .. سأقتله بنفسى .

* * *

قبل أن يطلق حارس القَبْو رصاصة واحدة ، استدار (أدهم) فى سرعة البرق ، وأطلق رصاصة من مسدسه على رأسه ، فأرداه قتيلًا ، على حين هتفت (منى) :

ـــ ماذا سنفعل ؟.. إنهم سيحيطون بنا بعد قليل .

اتجه (أدهم) نحو جثة (موشى) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سيساعدنا (موشى) على الخروج من هذا المأزق .

هتفت فى دهشة :

ـــ (موشى) ؟!

أجابها (أدهم) وهو ينحنى ؛ لينزع معطف الطبيب الأبيض ، الذى يرتديه (موشى) :

— نعم .. سيفيدنا هذا الوغد بعد مصرعه ، بأكثر مما فعل فى حياته .

وبسرعة راح يخلع زىّ (بافلوف) العسكرىّ ، ويلبسه لـ(موشى) ، بعد أن نزع عنه ثيابه ، وارتداها هو ، ووضع فوقه المعطف الأبيض ، الذى تلوّث صدره بدماء (موشى) ، ثم التقط ذلك القناع ، الذى كان يرتديه (موشى) ، والذى يحمل وجه الطبيب (فولف) ، وثبّته فوق وجهه فى إحكام ، ثم تناول قناع (بافلوف) ، ووضعه على وجه (موشى) ، وقال لـ(منى) :

— ارتدى ملابس ذلك الجندىّ الصريع .. هيّا .. بسرعة .

أسرعت ترتدى زىّ الجندىّ ، ورفعت شعرها الأسود الطويل فوق رأسها ، وأخفته بخوذة الجندىّ ، ثم أمسكت مدفعه الرشاش ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أصوات أقدام الجنود ، وهم يندفعون نحو القبو .. فنزع (أدهم) كاتم الصوت عن مسدسه ، وأطلق منه رصاصتين فى الهواء ، وهو يصرخ مقلّدًا صوت الطبيب :

— النجدة يا رجال !! إن الجاسوس هنا .

ثم دفع (منى) خارج القبو ، ولحق بها أمام عيون الجميع ، وهو يضع يده على صدره ، فهتف به أحد الجنود :

— أهو بالداخل أيها الطبيب ؟

هتف (أدهم) فى ضعف :

— نعم .. لقد أطلق علينا النار ، وأصابنى برصاصة فى صدرى .. انظروا .. انظروا إلى الدماء ، التى تلوّث معطفى .

لم يتطلّع أحدهم إلى الدماء ، بل راحوا جميعًا يطلقون نيرانهم نحو القبو ، فى غزارة وعنف ، على حين دفع (أدهم) (منى) أمامه ، وهو يقول :

— خذنى إلى أقرب وحدة طبّية أيها الجندىّ .. هيّا .. أسرع قبل أن ألفظ أنفاسى .

واصل الجنود إطلاق النار على القبو ، دون أن يلتفت أحدهم إلى (أدهم) و (منى) ، وهما يعبّران الصفوف إلى الخارج ، وهى تتظاهر بمساندته ، ومعاونته ، حتى بلغا إحدى سيارات السجن ، فألقى (أدهم) جسده داخلها ، وهو يتظاهر بالإعياء الشديد ، وقفزت (منى) خلف عجلة القيادة ،



وهى تتظاهر بمساندته ، ومعاونته ، حتى بلغا
إحدى سيارات السجن

وانطلقت بالسيارة نحو باب السجن ، ولم يكد حارس الباب يوقفهما ، حتى هتف به (أدهم) :

ـ افتح يا رجل بحق الشيطان .. ألا ترى أننى مصاب برصاصة فى صدرى .

تطلع الحارس إلى وجه (أدهم) ، الذى يرتدى قناعًا مماثلًا لوجه الطبيب ، ثم أسرع يفتح الباب ، فانطلقت (منى) بالسيارة ، وهى لا تصدق أنهما قد غادرا السجن المركزى ، ورأت فى مرآة السيارة باب السجن يُغلق خلفهما ، ثم رأته يُفتح مرة أخرى ، فغمغمت فى قلق :

ـ يبدو أنهم قد كشفوا أمرنا يا (أدهم) .

أجابها فى سخرية :

ـ بل هم يستقبلون زائرًا يا عزيزتى .. هيا .. أدى التحية العسكرية ، فليس من اللائق ألا يفعل جندى عادى ، أمام رئيس المخابرات الشرقية .

رفعت عينيها إلى الطريق فى دهشة ، فطالعها وجه (بافلوف) ، داخل سيارة تنطلق مسرعة نحو السجن ، فرفعت يدها بالتحية العسكرية ، وهى تواصل طريقها ، حتى تجاوزتها سيارة (بافلوف) ، فخفضت يدها ، وهى تزفر هاتفة :

— يا إلهى !.. لقد نجونا .

اعتدل (أدهم) ، وتخلّص من معطف الطبيب ، الملوّث بالدماء ، وهو يقول :

— ليس بعد يا عزيزتى .. إننا لم نغادر (برلين الشرقية) بعد ..

سألته فى قلق :

— ومتى سنفعل ؟

أجابها فى هدوء :

— من المفروض أن نستقلّ طائرة الخامسة ، إلى (فينا) ، ومنها إلى (القاهرة) ، وسوف ينتظرنا (قدرى) فى المطار و .....

قاطعته ، وهى تهتف فى دهشة :

— هل كنت تتوقّع أننا سنستقل طائرة الخامسة ؟!

أجابها فى هدوء :

— نعم .. فلقد قدّرت أن هذا الوقت يكفى لنجاحى فى إنقاذك ، أو .....

صمت فجأة ، فسألته فى شغف :

— أو ماذا ؟

أضاف لحظة صمت أخرى ، ثم أجاب فى هدوء :

— أو مصرَعِى .

تطلّعت إليه فى حنان وحُبٌ ، وهى تغمغم :

— (أدهم) .. إننى .....

قاطعها فى هدوء :

— ليس الآن يا (منى) ، فسنتوقّف أوّلاً فى منزل صغير قريب ، استأجره (قدرى) هذا الصباح ، لنبدّل ثيابنا ووجهينا بأقصى سرعة ، ثم نتجه إلى المطار ، وحينما نصل إلى (فينا) ، سيكون لنا حديث طويل .. طويل جدًا ..

* * *

تطلّعت (مارتينا) إلى ساعتها ، التى أشارت إلى الخامسة إلاّ الثلث ، وقالت فى انفعال ، وهى ترفع بصرها إلى (قدرى) ، الذى يقف قلقًا داخل مطار (برلين الشرقية) :

— إنه ينتظره ولا شك .. سيلتقيان هنا ، أو يرحلان على طائرة واحدة .

سألها الضابط الذى يرافقها :

— هل يمكنك تعرُّفه حينما ترينه ؟

أجابته فى صرامة :

— بالطبع .. مهما بلغت دقة تنكره .
اعتدل ، وهو يسألها :
— هل نلقى القبض عليه فور وصوله ؟
هتفت فى عصبيّة :
— نعم .. وليطلق الجميع النار على رأسه ، عند أوّل مبادرة منه للمقاومة أو الفرار ، ولا تسمحوا له بـ......

بترت عبارتها بغتة ، والتمعت عيناها فى وحشية ، وهى تتطلع إلى رجل وامرأة هبطا من واحدة من سيارات الأجرة ، وأسرعا إلى داخل المطار ، حيث استقبلهما (قدرى) بابتسامة واسعة ، قبل أن يشيح عنهما بوجهه ، وكأنه لا يعرفهما ، ثم يتجه فى هدوء إلى حيث ينهى إجراءات سفره ..

وتعرّفت (مارتينا) فى الرجل والمرأة (أدهم) و (منى) ، على الرغم من براعة تنكُّرهما ، فهتفت فى انفعال :
— ها هو ذا .. بل ها هما ذان . فلقد نجح فى إنقاذ زميله ، بإحدى وسائله الشيطانية .

أدار الضابط محرّك سيارته ، وهو يقول فى انفعال مماثل :
— سأصدر أمرى بالهجوم على الفوْر ، ويمكنك اعتبار أنها النهاية .. نهاية ذلك الشيطان المصرىّ ..

* * *

١١ ـ الجزاء ..

انتزع العقيد (مولوتوف) ذلك القناع ، الذى يحمل وجه الجنرال (بافلوف) ، عن وجه (موشى) ، وأشار إلى هذا الأخير ، قائلاً :
— أهو الجاسوس ، الذى تبحث عنه ، أيها الرفيق الجنرال ؟
أومأ (بافلوف) برأسه إيجابا ، وهو يقول :
— إنه نفس الرجل ، الذى تسلّل إلى منزلى
تنهّد (مولوتوف) فى ارتياح ، وقال :
— لقد لقىَ مصرعه ، حينما هاجم رجالى القبو ، و.....
قاطعه (بافلوف) فى صرامة :
— أبلغ هذا ـ لاسلكيًا ـ إلى العقيد (ألكسى) ، فينبغى له أن يعلم بذلك ، قبل أن يتمّ مهمّته .

لم يسأله (مولوتوف) عن طبيعة تلك المهمّة ، أو بمعنى أدق ، لم يجرؤ على سؤاله ، على حين سأله (بافلوف) :

— أين الجاسوسة المصرية ؟

شحب وجه (مولوتوف) ، وهو يقول :

— إن رجالى يبحثون عنها داخل السجن ، وسيجدونها بالتأكيد أيها الرفيق الجنرال .

مطَّ (بافلوف) شفتيه فى ازدراء ، وغمغم فى غضب :

— أوْ لايجدونها .. لم يعُد ذلك يُهمّ أيها العقيد .. لم يعُد يُهمّ أبدًا ..

* * *

قبل أن يُصْدِرَ الضابط المرافق لـ(مارتينا) أمره بالهجوم ، وقبل أن تتحرَّك سيارته مترًا واحدًا ، اعترضت طريقها سيارة أخرى ، قفز منها (ألكسى) ، واتجه نحو سيارته فى خطوات صارمة ، فهتفت (مارتينا) فى انفعال :

— لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ، أيها الرفيق العقيد .. إننا سنلقى القبض على الجاسوس ، و .....

قاطعها (ألكسى) فى صرامة :

— ليس بعد يا (مارتينا) .. لقد فقدت صلاحيتك لذلك .

اتسعت عيناها فى دهشة وذعر ، وهى تغمغم فى ارتياع :

— ماذا تقصد أيها الرّفيق العقيد ؟

أجابها فى خشونة :

— أعْنى أن الجاسوس ، الذى تتحدَّثين عنه ، قد لقى مصرعه داخل السجن المركزىّ ، وأن الجنرال (بافلوف) قد أصدر أوامره بإلقاء القبض عليك ، ونقلك إلى هناك فورًا .

امتقع وجهها فى شدّة ، وهى تهتف :

— ماذا تقول أيها الرفيق العقيد ؟!.. إن الجاسوس داخل المطار فى هذه اللحظة ، و .....

ارتفعت فجأة فُوّهة مسدّسه فى وجهها ، وهو يقول فى صرامة :

— كلمة أخرى زائدة ، وأصنع ثقبًا سخيفًا فى جمجمتك يا (مارتينا) .. لقد انكشفت خيانتك ، وأنت الآن خارج اللُعبة تمامًا ..

اغرورقت عينا (مارتينا) بدموع القهر ، وشحب وجهها حتى حاكَى وُجوه الموْتى ، وانتقل بصرها فى مقت إلى المطار ، حيث أنهى (أدهم) و (منى) و (قدرى) إجراءاتهم ، واتجهوا نحو الطائرة ، التى ستُقِلُّهم بعد دقائق معدودة إلى (فيينا) ..

إلى الحرية ..

وإلى النصر ..

* * *

امتقع وجه (دافيد) فى شدة ، وهو يقول للجنرال (سمحون) فى اضطراب بالغ :

ـ لقد نجا (أدهم صبرى) يا جنرال .. لقد غادر (برلين الشرقية) إلى (فيينا) ، ومنها إلى (القاهرة) .. ولقد وصل إلى وطنه سالمًا ، مع زميلة (منى) ، وصديقه (قدرى) ، منذ دقائق .

شحب وجه (سمحون) فى شدة ، وتطلع فى هلع إلى رُقعة الشطرنج ، الموضوعة أمامه ، وهو يسأل (دافيد) فى صوت مُختنق :

ـ ألم يُوقفه (موشى) ؟

أجابه (دافيد) فى مرارة :

ـ لقد لَقِىَ (موشى) مصرعه فى السجن المركزى .

ازداد شحوب وجه (سمحون) ، وهو يغمغم :

ـ وماذا عن (مارتينا) ؟

أجابه فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لقد ألقوا القبض عليها ، بتهمة الخيانة العظمى .

بلغ شحوب وجه (سمحون) ذِرْوَته ، حتى بات أشبه بوجوه الموتى ، واختنقت الكلمات فى حلقه لحظات ، قبل أن يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ اخرج من هنا يا (دافيد) .

أطرق (دافيد) برأسه ، وهو يغمغم فى أسف :

ـ معذرة أيها الجنرال ، ولكن القيادة فى (تل أبيب) أرسلت قرارًا بعزلك ، و .....

قاطعه (سمحون) فى مرارة :

ـ اخرج يا (دافيد) .

تهدلت كتفا (دافيد) ، وهو يهز رأسه فى استسلام ، ثم استدار مغادرًا الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، على حين راح (سمحون) يتطلع إلى رُقعة الشطرنج أمامه فى ذهول ، قبل أن يغمغم فى مرارة :

ـ إذن فقد نجا ذلك الشيطان المصرى مرّة أخرى .

ثم انحنى ، ونقل بَيدقًا على الرُّقعة ، وهو يستطرد فى ألم :

ـ كِشّ .. مات .

والتقط مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يلصق فوّهته بصُدغه ، و .....

وبلغ صوت الرصاصة مسامع (دافيد) ، خارج الحجرة ..

* * *



بلغ شحوب وجه (صمحون) ذروته ، حتى بات أشبه بوجوه الموتى .

١٢ ــ الختام ..

الخميس : الثامن من يونيو .. السادسة مساءً .

وقف الجنرال (بافلوف) يتطلّع ، عبْر نافذة مكتبه ، إلى الميدان الممتد أمامه ، حينما دلف (ألكسى) إلى المكتب ، وتنحنح ، فسأله (بافلوف) ، دون أن يلتفت إليه :

ــ هل اعترفت (مارتينا) ؟

أجابه (ألكسى) فى هدوء :

ــ ما زالت ترفض الاعتراف ، وتنكر أيّة صلة لها بذلك الحزب النازىّ الجديد ، وتدّعى أنها لاتعرف أى فرد ممن تضمّهم تلك القائمة ، التى عثرنا عليها فى مسكنها .

عقد (بافلوف) حاجبيه الكثّين ،وهو يقول فى صرامة :

ــ هل استخدمتم معها كل الوسائل ؟

أجابه (ألكسى) :

ــ نعم .. لقد غرسنا الإبر الساخنة تحت أظفارها ، ثم نزعنا الأظفار نفسها بالقوّة ، وعرّضناها لصدمات كهربائية

عنيفة ، وكوينا جسدها بالنيران ، ولكنها لم تعترف بعد ، وما زالت تدّعى أنها كانت تعمل لحساب (الموساد) ، وليس لحساب حزب نازىّ جديد .

قال (بافلوف) فى غضب :

ــ أريد الأسماء الحقيقية لكل أفراد ذلك التنظيم النازىّ الجديد ، الذين حوت القائمة أسماءهم الكودية ، يا (ألكسى) ، مهما كان الثمن .

سأله (ألكسى) فى خبث :

ــ هل نلجأ إلى الوسيلة الأخيرة ؟

صمت (بافلوف) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ــ نعم .. ابتروا أطرافها ، وانزعوا لسانها ، أو افقئوا عينيها إذا لزم الأمر .. المهم أن نحصل على ذلك الاعتراف ، مهما كان الثمن .

وامتلأ صوته بالغضب والثورة ، وهو يردف صائحًا :

ــ مهما كان الثمن ..

* * *

الخميس : الثامن من يونيو .. العاشرة مساءً .

توقفت سيارة صغيرة ، مصرية الصنع ، أمام واحد من أكبر

فنادق (القاهرة) ، وهبط منها (أدهم صبرى) فى حُلّة سوداء أنيقة ، ودار حول مقدّمتها ، ليفتح بابها المقابل لـ (منى) التى بدت كالبدر المنير ، فى ثوب تركوازىّ اللون ، طويل ، وهى تتأبّط ذراعه ، وتسير إلى جواره إلى داخل الفندق ، حيث انتقيا مائدة صغيرة ، تطلّ على نيل القاهرة ، وجذب (أدهم) مقعد (منى) ليفسح لها طريق الجلوس ، ثم جلس أمامها ، وهو يسألها فى رقّة :

ــ أيروق لك المكان يا عزيزتى ؟

أجابته بابتسامة خجلَى :

ــ كل مكان يُروق لى ، ما دمنا معًا يا (أدهم) .

سألها فى حنان :

ــ كيف حال إصاباتك ؟

أومأت برأسها ، وهى تغمغم :

ــ إنها تلتئم بسرعة ، وستشفى تمامًا عن قريب ، بإذن الله .

قالت هذا ، وهى تضمّ قبضتيها ، محاولة إخفاء أظفارها ، التى حوّلتها (فوجا) إلى كتلة دامية ملتهبة ، فربّت على كفّها فى حنان ، وهو يقول :

— كل مهنة لها متاعبها يا عزيزتى ، ولقد كان من الممكن أن يصبح الأمر أسوأ من ذلك .

وافقته بإيماءة من رأسها ، ثم رفعت عينيها إليه ، وهى تقول فى همس :

— إننى أدين لك بحياتى هذه المرّة أيضًا يا (أدهم) .

ابتسم ، وهو يقول :

— على العكس .. أنا الذى أدين لك بالفضل هذه المرّة يا عزيزتى .

سألته فى دهشة :

— كيف ؟!

مال نحوها ، وهو يقول فى جدّيّة :

— لقد كنت أتفجّر بالغضب ، حينما رأيت ما فعلته بك تلك الحقيرة ، فى قبو السجن المركزى ، وكنت قد أقسمت بالفعل على قتل كل من يمسّك بسوء ، وكدت أقتل تلك المتوحّشة فى غمرة الغضب والثورة ، لولا أن منعتِنى .

خفضت عينيها فى حياء ، وهى تغمغم :

— لقد لقيَتْ مصرعها على أية حال .

تنهّد ، وهو يغمغم :

— بيَد غيرى لحسن الحظ ، وإلّا ظللتُ — حتى نهاية عمرى — أشعر أننى قد خالفت يومًا كل ما أومن به .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم سألته بغتة :

— هل تظن أن (موشى) كان سيقدم على بتر أطراف بالفعل ، وهو يتقمّص شخصية ذلك الطبيب ، لو أنك لم تصل فى اللحظة المناسبة ؟

شرد ببصره لحظات ، ثم أجابها فى هدوء :

— بالنسبة لرجل من (الموساد) ، فالإجابة هى نعم .

ارتجف جسدها لمجرّد تصوُّر الفكرة ، وهى تغمغم :

— يا للبشاعة !!

اعتدل ، وابتسم وهو يقول :

— ولكن لماذا نتحدّث عن كل هذا ؟.. إننا هنا ؛ لننسَ ، ولنحتفل بنجاحنا هذه المرّة .

ابتسمت فى سعادة ، وهى تقول :

— نعم .. إننا هنا لنحتفل .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى حنان هامس :

— وسنحتفل دومًا بالانتصارات ، وببقاء وظفر الرجل الذى أحترمه ، والذى يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦٧

الثمن في مصر
٩٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الجحيم المزدوج

- ما مصير (أدهم) و(منى)، بعد أن انتقلت معركتهما إلى (برلين الشرقية)؟
- كيف يواجه (أدهم صبري) (مارتينا بوشكين) العميلة السوفيتية، و(موشي دزرائيل)، رجل (الموساد) في آن واحد؟
- ترى.. من ينتصر هذه المرة، (رجل المستحيل)، أم شيطانا (الجحيم المزدوج)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: قلعة الصقور